Bye Bye
MARICA

يوسف أبو شادى

إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: باى باى ماريكا – مجموعة قصصية

اسم المؤلف: سعيد محمود ابراهيم يوسف

الاسم الأدبي: (يوسف أبو شادي)

رقم االإيداع:8989/ 2020

الترقيم الدولي: 8 - 55 - 6791 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشر أو شخص طبع ونشر وتوزيع الكتاب وترجمته أو الاقتباس منه أو نشره على النت إلا بموافقة كتابية موثقة من المؤلف.

المراسلات:

دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل 5275

شارع عماد مصطفى

موبايل: 01144059975 ت: 27304004

إهداء

إلى ابنى الغالى محمد

أهديك عملي هذا علَّه ترك لي بقلبك ذكرى طيبة، كما أهديه إلى نور عيني شادي الذي رحل بعد أن ترك لنا أطيب الذكريات.

يوسف أبو شادي

القصر الأبيض

كان القصر الإمبراطورى الذى يسمى بالقصر الأبيض يسوده التوتر الشديد، والخوف، والقلق، كأنَّ العاملين فيه وعلى كافة مستوياتهم الوظيفية يتوجسون بقرب حدوث زلزالٍ عاتٍ مدمرٍ ربَّما كان الأخطر والأعنف فى تاريخ الإمبراطوريةً التى تسيدت العالم لعدة عقودٍ دون وجود من ينازعها أو ينافسها على قيادة عالمنا الذى كان الحكم والهيمنة عليه وعلى مقدرات الأمم قد آل إليها بعد استعمالها لسلاح لم تمتلكه قبلها أمة، وكان لهذا السلاح قوة تدميرية هائلة لم تعرفُها البشرية من قبل؛ استطاعت به إنهاء حربٍ شاملة استمرت عدة سنوات بعد أن استعملته ضد عدوها الذى استسلم على الفور، ورضخ لشروطها المُهينة والمُجحفة. منذ ذلك الحين وحتَّى تاريخه، أصبحت أعتى الأمم ترضخ لطلباتها المجحفة لمجرد التلويح باستعمال ذلك السلاح الذى يقضى على الأخضر واليابس لسنوات عديدة إن هى أطلقته عليها، ولهذا فقد رأينا الأمم الكبرى منها والصغرى تسارع لاسترضائها والاستكانة تحت جناحها طلبا لحمايتها، بل وأيضا طلبا لطعامها وشرابها ولباسها وسلاحها، أو على الأقل اتقاءً لشرها وبلطجتها، أما فى السنوات الأخيرة فقد غطت السحب الضبابية سماء تلك الإمبراطورية التى كانت لا تغيب الشمس عنها وأصبحت تتجمد من البرد والخوف بعد أن أصبح السلاح الذى كانت تخيف به

القريب والبعيد فى متناول العديد من الأمم، منهم من لم يكن له ذكرٌ ولا قيمة دولية من قبل، حتى أصبح الإمبراطور الذى يعتل ي عرش تلك الإمبراطورية العظمى يخشى لمجرد التلويح باستعمال ذلك السلاح الرهيب حتى لا يجيب عليه زعيم دولة صغرى بأن ما لديه من أسلحة كفيل بأن يدمر تلك الإمبراطورية عن آخرها وفى غضون ساعات، ولهذا فقد بدت الإمبراطورية العظمى كامرأة عجوز فقدت جمالها وبهائها ورونقها، وأصبحت غير قادرة على الوقوف دون الاستعانة بعكازٍ تستند وتتوكأ عليه، وليس هذا فحسب بل أن الأمم التى كانت تلجأ إليها للحصول على الأسلحة، كانت تضطر لقبول شروطٍ مُذلَّةٍ مُجحفةٍ، ربما مست سيادتها؛ للحصول على الأسلحة التى تنتجها تلك الإمبراطورية، ناهيك عن المبالغة فى أسعارها، أما الآن فهناك أمم أخرى أضحت منافسة لتلك الإمبراطورية بمجال التصنيع الحرب ي، بل وتفوقت عليها سواء كانت أسلحة دفاعية أو هجومية، وتبيعها بلا شروطٍ مجحفة، وبلا تدخل فى سيادة الدول المشتراة، أما الأدهى من هذا كله فإن تلك الدول المنافسة تعرض منتجاتها الحربية بأسعارٍ أقل بكثير للغاية من أسعار أسلحة الإمبراطورية العظمى، بل وبشروط سدادٍ ميسرة للغاية، رغم تفوق قدراتها وفعالياتها.

أما الأخطر من هذا فكان فى امتلاك إحدى القوى الصاعدة بسرعة الصاروخ لتكنولوجيا تتفوق وتسبق كثيرا للتكنولوجيا التى مكنت الإمبراطورية العظمى من السيطرة على دول الكرة الأرضية دون منازع لعدة عقود من الزمان، وها هى تصبح أكثر تخلفا من تلك القوى الأخرى الطامحة فى قيادة العالم بعد أن سيطرت عليه اقتصاديا وتكنولوجيا وماليا؛ للدرجة التى أصبح العالم أجمع يرى الإمبراطور القابع على عرش الإمبراطورية العظمى كأنه يسبح فى بحرٍ

بلا قاعٍ، يصارع الأمواج العاتية والمتلاحقة التى تسع ى لإغراقه، وهو لا هم له سوى البحث عن قطعة من خشبٍ يلوذ بها ويتعلق فقط؛ ليس لإنقاذه من الغرق، بل لمجرد إبقائه على قيد الحياة لفترة أطول.

كان الإمبراطور ومنذ جلوسه على عرش البلاد قد بدأ يُصدر قرارات وصفت بالمجحفة أحيانا، والمتهورة أحيانا أخرى، حتى غدا يلقب خارج بلاده، بل وداخلها أيضا بالإمبراطور المجنون، وللدرجة التى غدا كل رئيس دولة فى العالم يغنِي حين يستيقظ من نومه قائلا: حاسس بمصيبة جايالى ... تيرا ريرا ريرا رى ،،، مصيبة ما كانتش على بالى يا لطيف يا لطيف ... كان أول ما يفعله رؤساء الدول حين يغادرون مضاجعهم هو أن يهرعوا لتويتر ليطالعوا تويتات الإمبراطور المجنون؛ لمجرد الاطمئنان أن مصيبة اليوم كانت موجهة لدولة غير دولتهم، فإن كان الأمر كذلك توضأ الرؤساء جميعا بما فيهم الملحدون وصلوا لله ركعتين شكر. ويبدو أنه لم يكن هناك وسيلة للأمم المتضررة من تويتات الحظر الاقتصادى التى تعرَّضت له عبر تويتر من ذلك الإمبراطور المجنون إلا أن تتحد وتجتمع للتباحث حول وجود مخرج ينجيهم من عذابات الحظر، وفرض الضرائب على منتجاتها وصناعاتها وبضائعها لاتخاذ إجراءات انتقامية عكسية، أو على الأقل للتباحث حول وسائل تخفف عنهم حدة تأثير تلك العقوبات، ولأن تلك الأمم كانت تجتمع تحت شعار "كلنا فى الزفت شرقٌ" فقد كانوا مخلصين متعاونين، حتى الأعداء منهم نسوا عداواتهم القديمة

واتحدوا لتخفيف حدة تأثير قرارات ذلك المجنون عليهم. توالت قرارات تلك المؤتمرات التى وإن كانت ليست بالقدر الذى يمحو تأثير قرارات الحظر الاقتصاد ي والضرائب ضدها وعليها، إلا أنها كانت وعلى الأقل تدق مسمارا جديدا فى نعش تلك الإمبراطورية التى كان دائما ما يختال إمبراطورها ويتيه بأنه الأذكى والأدهى بين جميع زعماء العالم، فى حين أنه لم يكن يعى أو يُدرك رغم تنبيهات وتحذيرات خبرائه المخلصين له بخطورة البحث عن عملة دولية جديدة تتداولها الدول فى تعاملاتها وتجاراتها بعيداً عن عملة الإمبراطورية العظمى.

كانت زوجة الإمبراطور تشعر بالخوف والقلق فى كل يومٍ أكثر من اليوم الذى سبقه على صحة وحياة الإمبراطور الذى يحكم أقوى إمبراطوريات التاريخ الحديث، بل وربما القديم أيضا، فزوجها الإمبرطور الذى تولى العرش منذ شهورٍ معدودة كان يبدو فيها فخورا مختالا كطاوسٍ جعله جماله وذكاؤه يبدو أمام العالم، بل وأمام شعبه كرجلٍ مغرورٍ بقدراته العقلية والعضلية حتى غدا يلقب بالمغرور تارةً، وبالمفتون بذكائه ووسامته تارة أخرى، وأصبح محوراً لأحاديث الرؤساء والأمراء الذين يلعنونه فيما بينهم عن جشعة مرة، ولبذاءة ألفاظه مرة أخرى، ومع كثرة قراراته وفرط ابتزازه للدول المنافسة لإمبراطوريته، بل والدول التى يرى نموها متسارعا فيقرر الحظر الاقتصادى على دولة وفرض ضرائب باهظة على بضائع أخرى، مما أدى إلى انهيار عملات تلك الدول بين ليلة وضحاها، وفى الوقت

الذي أعرب فيه الكثيرون من خبرائه عن مخاوفهم من العديد من قراراته التى ربما أتت بتأثير عكسيٍ على إمبراطوريتهم وسمعتها ومكانتها الدولية، كان هو مُصرًّ ا على عبقرية أفكاره وفعالية قراراته حيث اعتبر مصلحة إمبراطوريته أولا، أما العجب العجاب فى أمره، فهو أنه وبعد أن ألحق الضرر بالدول التى تطمح بأن تكون على خريطة الأقوياء بالعالم، بدء ينتهج نفس سياساته مع الدول الصديقة والحليفة لإمبراطوريته، فبدأ يرسل لحلفائه ولمن هم تحت حمايته بفواتير باهظة نظير حمايتهم، وليدفعوا أو فليذهبوا للجحيم.

كان إمبراطور الولايات الماريكية العظمى مهموماً، مضطرباً، عصبى المزاج يقطع مكتبه الفخيم بالبيت الذى نسيت لاسمه الآن إذ كان منتظرا على أحر من الجمر لزيارة وزير دفاعه الذى ما إن وصل لاهثا، ألقى بيد سيِّده الإمبراطور ملفاً كاملاً عن الأوضاع بالكرة الأرضية من كافة النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية، وما أن تسلمه الإمبراطور المجنون حتى تحوَّل اضطرابه إلى حالة من الهلع عندما أدار غلاف الملف ليجد عنواناً مفزعاً مطبوعاً بوسط الصفحة الأولى البيضاء بالبنط العريض واللون الأسود يقول "باى باى ماريكا" فأغلق الملف وألقى به بعصبية على أرضية مكتبه فى الوقت الذى أطبق بيده على عنق وزيره سائلا:

ـ من هو ذلك الأحمق، أو ذلك الخائن الذى اختار هذا العنوان التشاؤمي لهذا الفاكينج فايل؟.

ـ إذن فلترفع يدك عن عنقي سيِّدي حتى أتمكن من إجابتك، كدت تخنقني وتقتلني.

ـ حسنا، هاأنذا قد حررت عنقك، تحدَّث أيها الأحمق.

ـ لم يكن هناك أحمق سيِّد ي، ولا خائن بين كل من اشترك فى إعداد تلك الدراسة من السَّادة الخبراء الاستراتيجيين ...

ـ إذن فلابد من أن بين خبرائكم من تمكن الأعداء من تجنيده لحسابهم، هيه، يبدو أنك قد نسيت أن الجمهورية السولفنتية، عدونا اللدود، لم تتمكن من تصنيع قنبلتها الذرية الأولى إلا بعد أن نقل أسرار تصنيعها لهم واحدٌ ممَّن جنَّدوه بوكالتنا الذرية أيها الأحمق، ولا تنس أيضا أن عدونا ومنافسنا الصاعد ... أقصد الجمهورية الشاياوية قد استولت على كل ما لدينا من أسرار اختراعاتنا التكنولوجية السلمية أو الحربية منها على السواء، واليوم، نراهم يتفوقون علينا بما سرقوه منا عبر جواسيسهم المنتشرين كالنمل بكل مراكز بحوثنا التى ندَّع ي أنها محصنة وأنها سرية للغاية.

ـ نعم سيِّد ي صدقت، لكن لا تنس فخامتكم أن العالم أصبح مفتوحاً، وتلك المعلومات أصبحت مُتاحة عبر الشبكات الألكترونية التى يصعب على أى جهازٍ استخبارات ي من

السيطرة عليها، أو على الأقل متابعتها حتى يمكنه حظرها عند اكتشافها.

ـ نعم، نعم أيها الأحمق ... والحقيقة أنك لست وحدك الأحمق بإمبراطوريتنا، نحن كلنا حمقى، ولتنقل إلى خبرائكم أننى صاحب هذا الاكتشاف ... كلنا حمقى ... نعم العالم أصبح مفتوحا، صدقت ... بل كذبت أيها الجينيرال ... العالم أصبح مفشوخا يا خويا.

ـ هاهاها .. كم أنت خفيف الظل سيِّد ي الإمبراطور حتى واحنا مفشوخين، أوه عفوا قصدي مُتوتِّرين.

سيِّدي، يؤسفنى إخبارك أننا على أبواب كارثةٍ ربما أطاحت بعرشك الذى سينتقل وبأسرع مما نتخيل إلى الجمهورية المنافسة، ليغيروا لافته الترحيب بمطاراتهم لتصير: أهلا بكم بالإمبراطورية الشاياوية العظمى.

ـ وبماذا يوصى خبراؤك الحمقى فى ذلك الملف.

ـ إنهم وبعد فحصٍ ودراسة لا يجدون عن الحرب بديلاً سيِّدي الإمبراطور.

ـ إذاً فهى الحرب.

ـ نعم سيِّدي، هى الحرب.

ـ أنا لا أريد الحرب أيها الجينيرال الذى يتهمني خصومي بالغباء لآني فقط قمت بتعيينك وزيراً للدفاع وأنا الذى يشهد

العالم كله بذكائي، وفطنتي ودهايَ ... أنا لا أريد حرب، ولا أريد أن أموت، أنا ما صدقت اقعد على العرش وانت جا ي تقولي حرب.

ـ ليس أمامنا حلٌّ آخر سيِّد ي. وعلى رأ ي المصريين؛ أيه اللي رماك عل المرِّ؟.

ـ مرّ أيه وشربات أيه يابن الجزمة، أنا عندى خمسة وسبعين سنة ونفسي أعيشلي يومين.

ـ ولما أنت تقول كده سيِّد ي الأمبراطور، اللى طول عمرك عايش حياتك، بتشرب خمر، وتسكر، وتزنى، هايقولوا أيه الحكام العرب اللى ربنا محرَّم عليهم الخمر، والزنا، والسرقة، ولحم الخنزير، ومش بس كده؛ ده غير السلفيين اللي حرَّموا عليهم الغناء، والرقص، والموسيقى والرسم والتصوير. ومش كده وبس، دول كمان حرَّموا كل شيء يبعث على البهجة والسرور، رغم أنها أمة تعسة من يوم ما شفناها وعرفناها. تصوَّر؟

ـ يعني العرب مش بيتصوروا عشان يعملوا بطاقة ولا جواز سفر؟ ولا حتَّى وهمَّا بيتجوزوا بيتصوروا فى حفلات الزفاف والأعياد والمناسبات السعيدة؟

ـ هم يتصورون فى هذا فقط سيِّد ي، عملا بمقولة الضرورات تبيح المحظورات، تصور فخامتك واحد سلفى رشح زوجته للكونجرس بتاعهم، وحط وردة مكان صورتها

عشان قال أيه، حرام الناس تشوف صورتها، ده كمان رغم إنها منقبة.

- يا نهار اسود ... تصدق أنك مش بتكذب؛ طبعا انت عارف إني بادير شئون الأمبراطورية من على تويتير والفيس بوك، واكتشفت أن كل نسوان العرب حاطين صورة نانسى عجرم، أو أى ممثلة جميلة بدل صورتهم، ولو طلبت من واحدة صورتها تقولك لأ حرام، بس البلوة فى عضوة الكونجرس دى اللى حاطة وردة، طب لو واحد من الشعب اللي رشحها احتاج منها خدمة هايشوفها ازاى؟ وبعدين تعالى قولي؛ هم العرب عندهم كونجرس أصلا يعنى زى اللى عندنا؟

- أيوه يعنى ... عندهم بتاع كده بيسموه مجلس شعب فى بلاد، ومجلس أمة فى بلاد تانية منهم.

- أنا مش عارف أنت مال أمك قارش ملحة العرب ...

- بالعكس تماما سيِّد ي فهم خير أمة بين كل الأمم بالنسبة لنا، إذ إنهم كانوا دائما أسرع الأمم فى طاعتنا وتنفيذ مخطَّاتنا التى نسعى بها للسيطرة على عقولهم وقلوبهم، الأمة العربية سيِّد ي، من أكثر بل هم أكثر الأمم إيمانا بالله، وطاعة له وخوفا منه، كان من المستحيل علينا أن ننسيهم قرآنهم وصلاتهم المجمعة الي يسمونها صلاة الجمعة، وكان أكثر ما يرعبنا منهم حين كان وعاظهم يدعون الله بأن يشتت شملنا والآلاف من خلفه يقولون بصوت يرج أركان

مساجدهم قائلين آمييييين، ولكننا وبما لدينا من خبراء وعلماء، بدأنا البحث منذ عشرات السنين عن وسيلة تُبق ي القرآن والإيمان فى قلوبهم، شرط ألا يفهموا أو يعملوا بما فيه، أى وبمعنى آخر، نلهيهم عن قرآنهم وصلواتهم، وكم كان عبقريا ذلك الخبير الخنيس الذى اقترح علينا توريد أفلام البورنو أو ما يسمونها الأبيحة عندهم يعن ي، وما أن قمنا بتسريب القليل منها إلى دولهم حتى انتشرت كانتشار النار فى الهشيم، ولن تصدقني سيِّدي أن قلت لك إننا قد قمنا باستطلاع و حصر نسب مشاهدة تلك الأفلام بكل الأمم ؛ وجاءت الدول العربية والإسلامة على قمة القائمة متصدرة لكل الأمم بمشاعدة الأفلام التى هم يسمونها إباحية، أما العجب العجاب فهو أنهم كانوا يسمونها أفلام ثقافية عند تداولها خوفا من أن يقبض عليهم البوليس ببلادهم عند ضبطهم متلبسين بحيازتها أو بمشاهدتها، هاهاهاها.

ـ أنت عارف البلوة اللى ما كانوش عارفينها؟ أن البوليس كان بيقبض عليهم متلبسين لمجرد أن يصادر المضبوطات ليشاهدونها هم ويتمتعون بها. هاهاهاه

ـ نعم سيِّد ي، صدقت، هل تعلم أنه فى تلك الأثناء نشر المصريون نكتة، وفخامتك عارف المصريين بقى، بينكتوا فى أفراحهم وفى بلاويهم، فقد قالوا فى حينه أن أحد الواعظين شاهد فيلما كان يحتفظ به خادمه، وبعد أن انتهى الشريط وهمُّوا لتناول العشاء قال الواعظ لخادمه: يلا شغل الشريط مرة أخرى؛ دعنا نرى ماذا يفعل الكافرون من

ذنوب. هاهاهه، بيقولك كافرون. هاهاها. من فضلك فخامة الأمبراطور ناولنى منديل كلينكس من جنبك امسح بيه دموعى. هاهاهاه ... أعود للعرب مرة أخرى سيِّد ي لأكمل حديثى عن طاعتهم لنا، إذ إننا وبعد أن ألهيناهم عن قرآنهم وصلاتهم، علمنا أنهم أمة يسعى كل أفرادها للمناصب والمريسة، فالغفير يأمل أن يكون أميراً، والعامل يأمل أن يكون مديراً، وحارس العمارة، يطمح أن يتملك العمارة التى يحرسها، وهنا اشتغلنا جاهدين لخلق جماعات أغلبها دينية مُقنعين لهم أن حاكمهم، بل ودولتهم ما هى إلا دولة مارقة كافرة يحكمها كافر، ولذا فقد وجب عليهم تفعيل فريضة الجهاد التى هى من أحب الفرائض إلى الله ورسوله، وسبحان الله سيِّد ي فى نفس الأثناء قامت الأمبراطورية السولفنتية عدونا اللدود بغزو دولة خيماغستان الهامة لأمننا القوم ي، وكانت فرصتنا لتجربة جماعاتنا الجهادية التى جعلناهم يوقنون أنهم يحاربون أمة كافرة ملحدة اعتدت على دولة إسلامية شقيقة، وأقنعناهم أن ذلك يُعد جهادا فى سبيل الله، وذلك كان صحيحا، والحق أقول، لكنهم وفى نفس الوقت كانوا يحاربون فى سبيل إعلاء كلمتنا وسطوتنا، ونجحت التجربة بصورة مُزهلة لم يكن الشيطان نفسه يتوقعها، والحمدلله أن ذلك الأمر لم يكلف خزينتنا فلسا واحدا، كنا قد كلفنا أكبر الدول الإسلامية بتمويلهم ماليا وعسكريا، ولما رأينا تلك الجماعة تتوحش وتتمرد حتى علينا ونحن من أنشأناها، دبرنا لهم مكيدة شيطانية كنا نحن من قام بها عندما هدمنا برجين هامين بإحدى ولاياتنا

مُستعملين طائرات مدنية يقودها شباب جهاديون ربما كانوا أعضاءً من ذلك التنظيم وربما ليسوا منه، لست متأكدا، وقد أسندنا ذلك العمل إلي ذلك التنظيم واعتبرناه عملاً إرهابيًّاً وعدائيًّا ضدنا، والعجيب أنهم كانوا يختالون فخرا وتيها بأنهم من نفذوه هاهاهاه، مش باقول لفخامتك: "إنها أمة محترمة وعجيبة حقا" ولأننا من قام بكل شيء فى ذلك العمل الذى وصفناه بالإرهابي، كانت الخطوة التالية لنا؛ هى محاربة الإرهاب الذى نحن من صنعناه، وقبضنا على قائد التنظيم، وألقينا به فى البحر، ثم عاونا أتباعه ومريديه بأن يعودوا لبلادهم لاستكمال جهادهم فى سبيل الله بتدمير بلادهم وقتل إخوانهم، وأشهد أمام فخامتكم وأمام الله بأنهم فعلوا أكثر ممَّا كنا نحلم به، وعندها تضخَّم الأمر برؤوسنا وأشعلنا ما أطلقنا عليه بالربيع العربى مستعملين شعارات الحرية والديمقراطية، وباستعمال مؤسساتنا ومعاهدنا من أجل التغيير بالتعاون مع بعض الدول الإقليمية ومنها دول عربية مسلمة لتدريب بعض الثوار الذين اندسوا بين من كانوا شرفاء من الثوار وكانوا هم الأكثرية، ويحلمون بوطنٍ تسوده العدالة والحرية والديمقراطية، وعندما نجحت ثورة الشرفاء، دعمنا الجماعات الدينية المسماة بالإسلامية لتولى حكم البلاد والعباد، ومكناهم بالفعل من ذلك وبسهولة لم نكن أبدا نتخيلها، فى الوقت الذى كنا فيه متأكدين بأن أخطاءهم وحماقاتهم وجشعهم وتخويفهم للناس كانت ستقصيهم وتسقطهم من فوق عرشهم بأسرع مما كانوا يتخيلون، أو نتخيل نحن، ولأننا كنا على يقين بذلك فقد قمنا احتياطيا

بإنشاء جماعة بديلة أكثر عنفا ووحشية، استطعنا أقناعهم بأنه وبمساعداتنا وبتمويل دولٍ عربية وإقليمية بأنهم سيسطيعون إقامة الخلافة الإسلامية لتعود إلى سابق عهدها هاهاهاه، والعجيب أنهم صدقونا مرة تانية، ربما عن قناعة، أو ربما لرغبتهم فى نيل لقب أمير، أو خليفة المسلمين، وما زالوا يتقاتلون حتى تاريخه، وربما ظلوا على هذا الحال لعدة قرون، حتى وإن زالت إمبراطوريتكم العظمى.

- زالت أيه يابن الجزمة ... فال الله ولا فالك ... المهم نرجع لمرجوعنا ولموضوعنا، وجعت راس أمى بالعرب وبلاويهم. ألا يوجد لديكم بديل آخر غير الحرب الشاملة؟

- كلا سيِّدي، ليس أمامنا بديلاً ولا خياراً، وعلى رأى العرب اللي قالوا: مُجبرٌ أخاك لا بطل.

- أترانا سننتصر إن بدأنا حربنا معهم؟ رغم ما لديهم من صواريخ قادرة على إسقاط كل أقمار التجسس التى نشرناها بين السماء والأرض كى ما نستعملها فى حروبنا لتدمير أعدائنا.

- يؤسفني سيِّدي أن أخبرك، أنه لن يتبقى أحدٌ يتنفس على ظهر الأرض إن نشبت الحرب حتى نُسميه مُنتصراً، حتى وإن كان كلباً أو حماراً، أستطيع سيِّد ي فقط أن أؤكد لفخامتكم أن الكرة الأرضية ستُدمر عن آخرها ، وبالطبع سيموت جميع الحمير الذين عليها، وسيبدو كوكبنا من بعدهم كخرابة عظمى مليئة بأنقاض ناطحات السحاب، وأكاد

أرى السياح يأتوننا من الكواكب الأخرى ليبكوا على أطلالنا وعلى ما تبقى من عظامنا.

ـ أوليس لديكم حمارٌ واحدٌ من هؤلاء الخبراء الذين يستنزفون ميزانية إمبراطوريتنا العظمى يمكنه من إيجاد وسائل حربية جديدة نستطيع بها القضاء على أعدائنا دون أن نموت نحن؟ أو على الأقل دون أن أموت أنا؟ فلتموتوا أنتم، بل ولتذهبوا للجحيم جميعا، وليذهب معكم العالم أجمع ... أنا لا أريد أن أذهب معكم ... لا أريد أن أموت حتى وإن عشت وحيدا بهذا العالم.

ـ حسنا سيّدِ ي، تأكد أننا جميعا حريصون على تحقيق أمنياتك قبل أن نذهب إلى الجحيم؛ على الأقل كى ننتظرك هناك لنخبر المُعذِّبين لنا بقدرك، وسموك، ورفعة مكانتك، فربما ترأف زبانية جهنم لتدهور حالك، وربما دفعهم ذلك للتخفيف من عذابك عملا بمقولة حكماء العرب: "ارحمو عزيز قومٍ ذلّ".

ـ حسنا، يبدو أنى قد أحسنت بتعيينك بمنصبك هذا. أكاد أراك من المخلصين يا هامان العصر الحديث.

ـ بل أنا من المُعذَّبين فى الأرض سيّدِ ي، ويبدو أننى لن أعانى كثيرا بعذاب جهنم التى قد تعودت عليه بذلك المنصب الذى أنعمت به علىَّ وليَّ نعمتنا. ولتسمحل ي فخامتك أن أنصرف لمنحك الوقت للاطلاع على ذلك الملف، وسأكون

بانتظار تعليماتكم وتنفيذها فور إصداركم لها سيِّد ي، تأكيدا لطاعتى وإخلاصى لكم ولعرشكم.

ـ كيف أقرأه أيها الأحمق؟ ألا تعلم أننى لا أجيد القراءة؟ وإننى إن قرأت لا أفهم ... أقصد أنه سيكون هناك بالتأكيد مصطلحات علمية وعسكرية، ومالية واقتصادية، ربما لا أفهمها.

ـ نعم سيِّدي أتفهم هذا، فأنت لا تفهم على أية حال.

ـ إذن سأنتظرك فى السابعة مساءً، نتناول عشاءنا معا ثم نتناقش، واحذر أن تحدثن ي بشأن ذلك الملف أثناء تناولنا للعشاء هه ... مش عايزك تسد نفس ي بكلامك عن الحرب يابن الكئيبة، يالا غور فى داهية.

العشاء والدعاء

بعد أن تناول الإمبراطور ووزيره العشاء انتقلا مباشرة للمكتب البيضاو ي بالقصر الأبيض، وجدا على الطاولة الموضوعة بينهما كأسين مليئين بأفخر وأندر أنواع الخمور، وخلفهما وضعت الزجاجة بما تبقى فيها، ليستزيدا وليصبًّا لنفسيهما إن أرادا المزيد حيث انصرف الساقى ؛ نظرا لسرية المحادثات التى ستجرى بينهما. ناول الوزير جلالة الإمبراطور كأسه وبعد أن قرعه قائلا فى صحة فخامة الإمبراطور المعظم، رشف رشفة من كأسه وقال:

ـ ما أجمل الحديث مع جلالتكم مولاي وأنت بحالة سكر، أقسم برب هارون وموسى: أنني ما سمعت أحلى ولا أصوب من أحاديثك إلا وأنت فاقدٌ لوعيك وسكران طينة، ولتسمحلي قبل أن أحدثكم مولا ي أن أحيطكم علمًا ببعض الأمور التى أخفيناها عنك تحاشيا لتهورك وجنونك : أود سيِّد ي أن أخبرك بسرٍّ لم يكن هناك مبرر لأخبارك به منذ أن توليتم عرش إمبراطوريَّتنا العظمى: وهو أننا نحن من نحكم البلاد والعباد سيِّد ي... بل ونحكمك أنت أيضا دون أن تدر ي، ونحن من نجعلك لا تدري، لأننا نعلم أنه يجب أن يكون هناك

حاكم لكل كيان، أما الشعوب، فلا تعلم أن حاكمهم ما هو إلا ستارة تخفي من خلفها العديد من حكامهم الحقيقين، ولهذا فنحن نحميك، وكذلك نحمى عرشك كما حمينا عروش من كانوا قبلك، ولذا فنحن نُسمى مستشارينا بالأسياد، فى الوقت الذى نجعلك تشعر أنك أنت وفقط السَّيِّد الأعلى والوحيد بإمبراطوريَّتنا التى نحن من صنعناها، وما أنت إلا قاطفٌ للثمار دون أى جهدٍ لمجرد أن مجموعة من البلهاء قد صوتوا لأجلك فى الانتخابات. قال هذا السَّيِّد وزير الدفاع ، ثم برطم بعدة كلمات غير مفهومة مما أثار حفيظة وفضول الإمبراطور المخدوع فسأله:

ـ أنت كنت بتبرطم بتقول أيه فى نهاية خطابك المشؤوم الذى ألقيته الآن على مسامعي.

ـ لم أقل شيء سيِّد ي سوى أن هؤلاء الذين صوتوا لأجلك الآن أراهم يضربون أنفسهم بالجزم.

أجهش فخامة الإمبراطور بالبكاء على طريقة وحيد سيف ثم كفكف دموعه بكم سترته ورفع رأسه وقال مُتظاهرا بالكبر:

ـ تقول أنكم أنتم الحاكمون ... من أنتم؟ من أنتم على رأى القذافى يا ولاد الكلب ، خليتونا نقتله بحجة أنه مجنون، ثم جئتم لتتهمونني بالجنون، أنتم أصل البلاء فى هذا الكون، أنتم سبب تعاسة ملايين التعساء الذين لا يجدون الغذاء ولا الكساء من البشر، والذين لو قسَّمنا عليهم مرتباتكم فقط لكانوا أغنى وأسعد وأفضل حالا، بل لو وزَّعنا عليهم ثمن

قنبلة واحدة، أو طائرة عسكرية واحدة، أو صاروخ مما تخترعون وتصنعون لتنفيذ أوامر الشياطين على الأرض، أقول: إن صاروخاً واحداً يكفى ثمنه لإطعام قرية كاملة وربما مدينة، أنتم الأشرار والجبابرة، بل أنتم الشياطين الحقيقيون على هذه الأرض، أنتم الأعداء الحقيقيون للبشرية ... لكن ويا آسفي لا أستطيع التخلص منكم؛ لأنكم على الأقل كما قلت، تحمون عرشي أيها المتبجح الفاجر.

ـ كلنا فجرة سيِّد ي الإمبراطور، أنت أيضا لم تكن لتستوى على عرشك سوى بوعدك للرأسماليين بأنك ستمنحهم فرصاً استثمارية أعظم، وستعفيهم من الضرائب، هذا بخلاف العديد من المزايا والوعود؛ مقابل دعمك بحملاتك الانتخابية بالمال والدعاية والترويج لوعودكم الكاذبة للطبقة الكادحة، والحقيقة؛ وحتى لا أظلم فخامتكم، فكل الطامعين فى الحكم يكذبون كما تكذب أنت، وكما نكذب نحن أيضا، ويا ريت بقى نركز فى بلوتنا ونشوف لها حل سيِّدى ، بدل ماحنا فارشين الملاية لبعض على رأى المصريين.

ـ سيِّدك ايه بقى معالى الوزير، ده انا طلعت طرطور زى التاج اللى أنا لابسه فى راسى ده، ملعون أبو الخمرة اللى بتخلينا صادقين وأمناء واحنا سكارى، فوقتن ي من الكاسين اللى شربناهم يابن الجزمة... المهم، حدثنى عن رأى خبراء الغبرة بتوع أمك دول بدل ما ألعن أبوك.

ـ عذراً سيِّد ي الأمبراطور، سألتنى هل هى الحرب؟ وأجبت فخامتكم بنعم، ولكن لخبرائنا عدة تصورات للأسلحة

وللوسائل التى يمكن استعمالها فى تلك الحرب، وأحيط فخامتكم علما بأن تصورهم الأول: هو أن نبدأ حربا بأسلحتنا الذرية على القوتين الذين نعتبرهما عدوتين، وقد تبين لأجهزتنا المخابراتية أنهما أيضا وبالمثل يسعيان للقضاء على أمبراطوريتنا بالتفوق عليها اقتصاديا وعسكريا على حدٍ سواء، وقد حدد خبراؤنا ساعة الصفر بأن تكون السادسة صباحاً، حيث إنها وكما تعلم فخامتكم أنها أحلى ساعات النوم قبل أن يفيق الناس مضروبين تلاتين برطوشة للذهاب إلى أعمالهم، والحقيقة أنني أرى أن تقريرهم جدير بالدراسة، بيد أنى أخشى أن يكون أحدٌ بجيوشهم سهران ساعتها أو يعني عنده أرق زى اللي عندى أنا وأنت اليومين دول ويرد علينا بالمثل، وهنا كما قلت لجلالتكم لن تبقى أحد يتنفس على ظهر الكرة الأرضية ليدَّعى أنَّه قد انتصر.

ـ هيه، والتصور الثانى؟

ـ هو سيِّدي باللجوء للحرب الفضائية وأسلحتها التى يصعب صدَّها، أو التعرض لها بصواريخ مضادة، أو ما شابه ذلك، وقد استعملناها على سبيل التجربة بحروبنا بالسنوات الأخيرة مرة بحجة محاربة الإرهاب، وأخرى بحجة امتلاك بلاد بين النهرين لأسلحة الدمار الشامل، واعتدينا عليها من أجل تجربة أسلحتنا الجديدة، وأطمئنكم أن النتائج كانت مُبهرة، ولا نحتاج فيها إلى جنود ولا دبابات، ولا راجمات الصواريخ والحاجات الفاشلة د ي، كلُّ ما علينا هو تسليط أشعة الليزر من أقمارنا بالفضاء بتركيز عالٍ على مخازن

الأعداء الذرية للوقت الذى ترتفع درجة الحرارة جدا بها فتنفجر فى وجوههم، وحلّنى بقى على ما يفوقوا ويعرفوا مين اللى فجرها؟ وازاي؟ وسلملي ع المترو بقى فخامتك.

ـ ألا تدرى أيها الأحمق أنت وخبراؤك أن الأعداء قد اخترعوا صواريخ يمكنها تدمير سفننا وأقمارنا الفضائية ويهاجموننا بما لديهم من أسلحة لم نتمكن من اللحاق بهم فى تصنيع مثلها، أو فى صدها على الأقل إن هاجمونا بها، تبا لك ولخبرائك الفاشلين.

ـ ماهو عشان كده قلت لفخامتكم أننا هانضربهم الساعة ستة الصبح وهايكونوا نايمين، وعلى أية حال سيِّدي، لم يعد أمامنا سوى الحل الأخير الذى أراه أكثر أمنا لنا فى الوقت الذى سندمر به الثروة البشرية والاقتصادية لأعدائنا تماما.

ـ كيف؟

ـ الحرب الجرثومية.

ـ يابن الأبالسه ... ومن هو صاحب هذا الرأى؟

ـ أنا طبعا، وقد أسندت عم لهة الإشراف على هذا الأمر لطبيب من الأطباء المهاجرين إلينا سيِّد ي، وبالمنسبة فهو إنسان مُجتهدٌ ومُخلص، مُلتزم وطموح للغاية سيِّد ي، ولذا فقد ترقى حتى وصل إلى درجة مدير عام المعامل الصحية بأمبراطوريتكم العظمى، وقد شرح نائبه الماريكي الأصل اقتراحه بالتفصيل فى ذلك التقرير فنحن لا نعطى أمورنا

الحساسة سوى لمواطنينا الأصليين مهما حاز المهاجرون على ثقتنا، ومهما أبدوا لنا من إخلاص.

- ومن أي أصل ذلك الطبيب؟ أقصد أين وُلد؟

- هو عربيٌّ الأصل سيِّدي.

- يخرب بيت أمك، أوعى يكون جايلنا من التأمين الصحى هناك، الناس فى بلادهم بيموتوا من الأجراءات مش من المرض.

- أؤكد لك سيِّدي أن أحفاد العرب عظماء كأجدادهم، غير أنه وللأسف، لا نرى عظمتهم إلا حين يهاجرون ويهجرون أوطانهم، فتراهم نموذجا فـي التفانيِ بعملهم وعطائهم، كما نراهم أكثر التزاما بالقوانين والسُّنن، والحقيقة سيِّد ي فإن أى أمة تتعرض لما تعرضت إليه أمتهم بالقرون الأخيرة لما كان لها وجود الآن، ويكفى ما أثرناه فى بلادهم منذ عدة سنوات من فوضى أسميناها مرة بالخلاقة، وأخرى بالربيع العربي، وحمدًا لله أن القليلين منهم فقط هم من أسموه بالربيع الغربيِ الذى ما زالت بعض البلدان تعانيِ من آثارة، وبعضها ما زالت الحرب دائرة على أراضيها بين الجماعات التيِ أنشأتها وبين جيوشها، ومنه لله الجيش المصرى الذي لولاه لتحققت كل أمانينا بفناء هذه الأمة التى أقسمنا على ألا تقوم لها قائمة بعد طردهم من الأندلس.

ـ نعم صدقت، بس وحياة أبوك ما تجيب سيرة الربيع الغربي تاني عشان قلبي حاسس أنه هايحصل عندنا، ومع هذا فالحق أقول: إن معاناة البشرية من التوغل الإسلام ي، كانت أقل بكثير جدا من الأضرار التى ألحقناها بهم وبغيرهم فى حروبنا الصليبية وغيرها من الحروب، فهم لم يقتلوا من البلاد التي غزوها أو فتحوها كما يحلوا لهم أن يقولوا، أقول: إنهم لم يقتلوا عشر معشار ما قتلنا بحروبنا وغزواتنا، ولم يهدموا بيتاً أو أثراً مثلما فعلنا، ولم يسرقوا تاريخاً أو كتباً، أوعلوماً وآثاراً مثلما سرقنا منهم، وما زلنا محتفظين بما سرقناه ، وهمَّا ياعين ي مكسوفين يقولولنا هاتوها، أما هم فكانوا فقط يقولون للبلاد: إما أن تُسلِموا، أو تدفعوا الجزية وتسلَموا، بل إن جزيتهم كانت أقل بكثير مما كانت تأخذه الأمبراطوريات التى سبقتهم من البلاد والعباد، ولعلك تذكر أن ضحايا الحروب بين الطوائف الدينية بالدول الكوروبية كانت بأعدادٍ مهولة حيث كان الرجل يقتل أخاه بوحشية لمجرد انتمائه لطائفة أخرى غير الذ ي ينتم ي هو إليها، والحقيقة أننا استعملنا نفس الأسلوب لتدمير وإضعاف تلك الأمة العربية حيث جعلناهم يقتلون بعضهم بعضا، ولم يكلفنا الأمر لا جيوشاً، ولا مالاً، ولا عتادًا ولا يحزنون، وكلُّ ما فعلناه هو أن نقنع الجماعات أنهم يجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الله وإعادة الخلافة الإسلامية، ولا أدري كيف صدقوا أننا حريصون على عودة الخلافة! نحن فقط دعمناهم ودربناهم، وسلحناهم بأموال إخوانهم من البلدان الغنية التى أغنيناهم باستخراج بترولهم من تحت أرضهم، ولو أننا لم

نستخرجه لهم بعقولنا؛ لظلوا جالسين أمام أبار بترولهم يبكون تارة، ويدعون الله تارات أخرى أن يستخرجه لهم، أو أن يرسل إليهم من يستخرجه لهم، وهاهو قد أرسلنا لاستخراجه لشدة حاجتنا إليه . المال صديقى الجينيرال إن أتى سهلاً؛ ضاع بصورة أسهل، ما أعجب تلك الأمة حقا . نهايته هم أحمق منك وزيري المخلص.

ـ هل تسمح لى سيِّد ي الأمبراطور أن أرجوك، وأتوسل إليك ألا تصفنى بالأحمق مرة أخرى ... رغم قناعتى بحماقتى لمجرد قبولى أن أكون وزيرًا لفخامتكم، إن تذكيركم لى بحماقتى يصيبنى بالاكتئاب سيِّد ي، رغم أنى لا أختلف مع فخامتكم بشأن حماقة تلك الأمة ... ولا تنس أن أشعر شعرائهم قال عنهم منذ ألف سنة تقريبا يعنى: يا أمة ضحكت من جهلها الأمم.

ـ هل تعلم فيما أفكر الآن؟ ... أفكر جديًّاً بالاستعانة بالجيش المصرى وقائده الذى أحبه، وأجله، وأحترمه، لقيادة الحرب التي نحن عازمون على شنها لتدمير أعدائنا.

ـ ولماذا سيِّد ي اخترت الجيش المصرى وقائده دوناً عن غيره من الدول القوية التى كنا ندعمها لدعم وإنجاح الربيع العربي، وأظنها قد فعلت كل ما بوسعها لتنفيذ أمنياتنا بخصوص تفتيت وتشتيت وتقسيم تلك الأمة وإقامة الحروب بينهم لمئات السنين.

ـ نعم صدقت لكن الجيش المصرى، هو الجيش الوحيد بالمنطقة الذى لديه عقيدة ثابتة لا يتزحزح عنها، كما أن قائده يتمتع بالحنكة والتؤدة، والذكاء والأدب ، والتواضع، رغم كل ما تقوله عنه جمعيات حقوق الإنسان التى تعمل تحت إمرتنا، ولتحقيق أهدافنا بأساليب خبيثة، ومع كلِّ الصعوبات التى وضعها سلفي الأمبراطور السابق، فقد تمكن الجيش المصري من تحدي العالم أجمع، واستطاع أن يقضى على الإرهاب وحده دون تهليلٍ أو تباهٍ؛ فهو جيشٌ يعمل فى صمتٍ من أجل وطنه وأهله فقط. مش زى جيش أمك اللى مش فالح غير فى التهديد، هاهاها

ـ ما الذي يضحكك سيدي؟

ـ يضحكنى أن العرب قد صدقوا سلف ي الأمبراطور السابق حين أنشأ تحالف للقضاء على دولة الخلافة الإسلامية، وهو الذى صنعها وأسسها، والذ ي يضحكني أيضا، أن العرب يعلمون علم اليقين أنه هو من أنشأها، أما الأعجب فهو أنه أخبرهم أن القضاء على تلك الدولة سيستغرق وقتا لن يقل عن الثلاث سنوات، ولم يدركوا أنه بذلك كان يحدد المدة التى سيحلبهم فيها ويستولي على ثر واتهم وبترولهم ابن الأبالسة.

ـ وهل تظن سيِّد ي أن الجيش المصرى وقائده سيذعنون لطلبك لمعاونتنا بحربنا المزعومة؟

ـ هذا هو السؤال صديقي الذى أريدك أن تجيبني عليه.

ـ ما أعرفه سيّد ي، أن الإنسان المصرى سواء كان العسكري منه أو المدني، يرفضون الاعتداء على الغير، ولا تنس هنا أنه لولا صبر الشعب المصري على الجوع والفقر، ودعمه لقيادته لما استطاعت مصر القضاء على الإرهاب، رغم دعم أكثر من دولة إقليمية للجماعات الإرهابية. لا، أقصد لا أقول أقليمية فحسب ، بل كانت دولية أيضا، وكانت جميعها من تخطيطنا وتدبيرنا ... آهٍ سيدى ... ما أحقرنا نحن السياسيون والعسكريون، أقسم لك لولا حقارتنا لكانت البشرية بما وصلت إليه من علومٍ تتمتع الآن بأزهى عصور الحياة البشرية على كوكبنا المليء بالقتل والتعاسة مذ خلقنا الله وخلقه من أجلنا.

ـ طيب ياخويا، وبمناسبة العلوم، أريد أن أقابل ذلك الطبيب.

ـ أى طبيبٍ سيدي الإمبراطور؟

ـ ذلك الطبيب الذى اكتشف ذلك الفيروس، وكذلك نجح فى تصنيع الدواء والمصل واللقاح للشفاء منه أيها الأحمق.

ـ آه نعم، تذكرته الآن، ولا أظن أنه من الصواب مقابلتك له.

ـ ماذا تقول أيها الأحمق، أريده غدا على طعام الغداء.

ـ سيّدي، أولا: ذلك الطبيب، ما هو إلا مدير كان يشرف على طاقمٍ من الإطباء والعلماء ؛ أعني كان مكلفا بعملية إشرافية وإدارية بحتة، ولم نحطه علما بسر ما نقوم به، ولم يقم بإفادتى أنا شخصيا سوى حين سألته عن ضرورة تصنيع

دواء ومصل لاستعماله لمن نريد علاجهم، وقد صدمن ي أن مثل تلك الأدوية والأمصال تحتاج إلى وقت وعمل شاق لاكتشافها وتجريبها للتأكد من فعاليتها، أما الخطير فى الأمر أن مثل تلك الفيروسات من الصعب بمكان السيطرة عليها تماما سيِّدي؛ لآنها تتحوَّر وتتلون ويصبح الدواء المكتشف غير ذي قيمة فى الشفاء منها، بيد أنه قد يفيد فقط فى إطالة عمر المصاب به لعدة أيام أخر، ثانيا سيِّد ي: إن أخلاق الإنسان العربي وعقيدتة كما اتفقنا سويا، تأبى أن يفعل ما يؤذي به لإنسان أخر ، فكيف لنا أن نقتعه أننا نريد فناء البشرية. نحن حين طلبنا منه الإشراف على هذا المشروع لم نخبره أننا سنستخدمه ضد البشر، وأوحينا إلى العاملين معه من الماريكيين أننا نريد تخليق وتطوير فيروس مميت، وسريع الانتشار بين البشر، يمكننا استخدامه بحروبنا للدفاع عن أنفسنا ومصالحنا.

ـ إذًا فهو الوحيد الذى لا يعلم السبب الحقيقي.

ـ نعم سيِّدي، وأزيدك من الشعر بيت ، إنه كان فى نيتنا نقله لإدارة أخرى بعد تسليمنا إليكم التقرير الذي بين يدي فخامتكم.

ـ حسنا فلتنقلوه ... أو فلتقتلوه فوراً.

الجائحة

كان جلالة الإمبراطور العظيم ما يزال مهموما، مشغولا بأمر عرشه وإمبراطوريته، يستقبل التقارير المُخابراتية والإخبارية لحظة بلحظة، ومع كل تقرير كان يزداد يقينه بأنه لا مناص من الحرب، لم يتبق أمامه سوى تحديد ساعة الصفر بعد دراسة الخطط والوسائل ونوع الأسلحة التى سوف يقومون باستعمالها فى تلك الحرب التى يجب أن يتوفر فيها عنصر المفاجأة أولا، وثانيا: أن يكون قواد جيشه على يقين بأن حربهم يجب أن تكون خاطفة تتحول فيها الجمهورية الشاياوية إلى مجرد حطام، وبأن تُصبح أثراً من الماضي في غضون دقائق، إذ إن الجيش الماريكى بكافة أفرعه يمتلك لأسلحة دمار شامل لديها قدرات تدميرية هائلة من الصعب قياس قوتها المهلكة، وحساب زمن تأثيرها على الأرض التى تُطلق عليها لتهلك الزرع والبشر، بل وتهلك الحجر أيضا، أما الأهم من هذا، فهو تعجيز الأعداء خلال دقائق عن اتخاذ أى رد فعل لرد الهجوم بهجومٍ مضاد سواء باستعمال نفس الأسلحة التى لديها قوى تدميرية مماثلة، وربما تكون أكثر وأشد تدميراً من الأسلحة التى سيُهاجَمون بها ، والتى تمتلأ بها مخازنهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر تعجيزهم عن استعمال صواريخهم الاعتراضية لتفجير الصواريخ المهاجمة لهم في الفضاء قبل إصابتها لإهدافها!.

كان جلالة الإمبراطور غارقاً فى همومه عندما دق باب مكتبه ودلفت منه سكرتيرته الخاصة قبل أن يأذن لها بالدخول ودون اعتذار منها لاقتحام خلوته، أخبرته بطلب معالى الجينيرال وزير دفاعه بمقابلة عاجلة، وفور موافقة الإمبراطور على السماح له ، دخل الجينيرال قبل أن تخبره السكرتيرة الفاتنة بالموافقة ، اِرتمى على المقعد المجاور لمكتب سيِّده مُخفيا وجهه بكلتا يديه حتى خاطبه جلالة الإمبراطور قائلا:

ـ خير يابن الكئيبة ... هيه؟ ياما جاب الغراب لامه.

ـ ليس خيرا على الإطلاق سيِّد ي، ليس خيرا أبدا رغم أن هناك أمرًا قد حدث بالجمهورية الشايناوية من المفروض أن يُسعدنا، وقد كان كذلك قبل أن تنتقل العدوى لعدة بلاد أخرى، وربما وصل ت بلادنا، بل لعلها قد وصل ت بالفعل ونحن لسنا على استعدادٍ لمجابهته على الإطلاق، أو بمعنى آخر مش فاضيين له يعني.

ـ ما لى أراك تروى لى ألغازا يابن الكئيبة ، أنا مش ناقصك، بالراحة وحبة حبة ياخويا، أحكي لى الموضوع من الأول.

ـ يبدو أن سيِّد ي لا يتابع نشرات الأخبار كما نتابعها نحن ونقوم بتحليل كل كلمة فيها.

ـ لا ياخويا مش بتابع نشرات الزفت الكئيبة بتاعتكم، اللى مافيهاش غير تحرشات ، وخطف ، وقتل ، وقصص ضحايا المخدرات، والنصب، أنا باتابع المسلسلات وأفلام الكرتون بس. قل لي بقى يا غراب البين أيه اللى حصل؟

ـ نقلنا لكم سيّد ي قبل حلول العام الجديد بأسابيع، وبعد أن تلقينا تقارير استخباراتية من عملائنا با لجمهورية الشاينـاوية تؤكد انتشار نوع من الإنفلونزا بإحدى مدنها ، كان سريع الانتشار بصورة مرعبة أسعدتنا جميعا إذ حدث لديهم ما كنا ننوى القيام به، بيد أننا قد أخفينا عنكم تطورات الأمر حتى لا نزعجكم أولا، وثانيا: رغبتنا فى ما إن أتى هذا الفيروس بالنتائج التى تمنيناها ، تكون فرصة لنا للتباهى أمامك بأننا من فعلناها، ولما كان ذلك الفيروس قد أنتقل إلى جمهورية قهران عدوتنا اللدود ، والجمهورية السولفنتية، حمدنا الله أنه أصاب أعداءنا فقط، واليوم أخبرنى السَّيِّد وزير الصحة أن العدوى قد انتقلت لإحدى ولاياتنا، وهو يكاد أن يموت رُعباً من أن ينتشر بنفس الصورة التى انتشر بها بالبلدان التى وصل إليها، ويؤسفن ي جلالتكم أن أخبركم أنه يرتجف خوفا من أن تعجز مستشفياتنا على استيعاب الآف الأنفس المصابة والتى ستتضاعف أعدادها كلَّ يوم عن سابقه، وصدمنا بأننا أيضا لا نملك الإمكانات التى تمكننا من بناء وتجهيز مستشفى بمعداتها وبأطقمها الطبية فى غضون عشرة أيام كما فعلت الحكومة الشاينـاوية، والأدهى من ذلك أن ما لدينا من كمامات وألبسة طبية لا تكفى لسد حاجة الأطباء الذين هم، وهم وحدهم من سيواجهون المرض، ومن سيعالجون المرضى، ومن سيتحملون المخاطر بكاملها، أما الأمر المُحرج لنا سيّد ي فهو إن المرض يصيب الجهاز التنفسى للإنسان، ويعانى المُصاب به ضيقاً وصعوبة بالغة فى التنفس، وليس لدينا أجهزة تنفس صناعى نعين

بها المشرفين على الموت من المصابين به على التنفس، لقد أخبرنى السيد وزير الصحة بحاجيات كثيرة نحن فى أمس الحاجة إليها الآن لمواجهة الجائحة ولا نملك أيَّاً منها ، أما المصيبة الكبرى فهى أننا كنا نستورد كل تلك الحاجيات وغيرها من الجمهورية الشاياوية، ولا أظنها الآن بوضعٍ يسمح لها بتوريدها إلينا عملا بمقولة المصريين "اللى يعوزة بيتك يحرم على الجامع". وبمناسبة البيت والجامع سيِّدي، يسعدنى إخبارك أنه قد هبطت بمطاراتنا اليوم عدة طائرات مصرية تحمل لنا بعض المعونات الطبية، وعلى الفور اتصلت برئيس منظمة الصحة العالمية التى نشك فى تواطئه مع الدولة الشاياوية لأخفاء بوادر الجائحة حتى هاجمت إحدى ولاياتنا، وأخبرته بما قدمت لنا مصر رغم أن شعبها مش لاقى ياكل، وطلبت منه توجيه الشكر لها حكومة وشعبا على مواقفها الرائعة رغم المواقف المخزية التى تعامل بها سلفكم وإدارته مع مصر، ومنع عنها معونتنا لحربها منفردة للإرهاب على أراضيها، وكان هذا أمر طبيعي منه، إذ إنه وكما تعلم فخامتكم هو من خلق الإرهاب ودعمه دائماً، كما أعلنت سيادتكم مرارًا أثناء حملتكم الانتخابية، غير أن مصر دائما تبدو دولة طيبة مُحسنة ولا تسيء لأحدٍ حتى ممن أساءوا إليها، وبمناسبة مصر سيِّد ي، فقد استفسرت من رئيس المنظمة عن أحوالها، وعن إضرار إصابتها بذلك الفيروس اللعين علنا استطعنا رد الجميل بإرسال معونتنا للمصريين فأجابنى: فيروس أيه ولعين أيه يا عمِّى، الشعب المصرى عايش حياته بصورة عادية جدا

وكأن مافيش حاجة، المولات ممتلئة بزوارها ، والأسواق أكثر ازدحاما واسأل عملاء مخابراتكم المنتشرين بكل مكان فى مصر عن الموسكى وزحمته، وعن غيره من أسواق الخضار والفاكهة، ثم قطع حديثه فجاء وأردف قائلا: طب تصدق بالله؛ كل يوم باستقبل عشرات نداءات الاستغاثة من كافة الدول بما فيهم الكبرى، وانهارده الصبح جانى استنجاد من كورونا نفسه، بيقولى يا عم الحقنى أنا مزنوق فى مترو الأنفاق بتاع خط حلوان ومش عارف انزل من الزحمة بقالى تلات محطات! ... أما العجيب سيِّدي فيِ المصريين أنهم هم من اخترعوا مثل "اللى يعوزة بيتك يحرم على الجامع، لكنهم والحق أقول لا يطبقونه معنا نحن بالذات.

ـ جامع أيه ومصريين أيه؟ الله يخرب بيت أمك، ما الذ ي تظنني فاعله وانت تصب كل المصائب على رأس ي دفعة واحدة؟ أتظننى فايق لنكتك انت والمصريين بتوعك دلوقتي.

ـ عفوا سيِّدي، فما أردت إلا أن أضحكك حتى لا تلقبني بابن الكئيبة مرة أخر ي، أما المصيبة الكبرى التى هونت عليك منها سيِّدي فهى أن السَّيِّد وزير الصحة أخبرنى أنه يخشى ألا نكون قادرين حتى على دفن جثث موتانا من ضحايا ذلك المرض اللعين، أو على الأقل سنكون عاجزين عن تغسيلهم وتكفينهم وإقامة الصلاوات على جثثهم، وللعلم سيدى فإن هناك بعض الحكومات التى عجزت عن إيجاد حلٍ لدفن موتاها سوى بحرق جثثهم كما فعل هتلر بأعدائه اللدودين،

بدون داعى لذكر أسماء يعنى، ما أنت عارفهم جلالتك، مش كده بردو؟.

ـ يا إله ي، رحماك ربى، أكاد أرى ما فعلته بقوم لوطٍ يحدث معنا، ولكن بوسيلة مغايرة، رحماك يا رب. ترى ما هى الأسباب التى أدت إلى إصابة تلك الجمهورية بذلك الفيروس أيها الأحمق؟

ـ الشهادة لله سيّدي الإمبراطور، الجمهورية الشاياوية دى دايما مصابة بفيروسات عجيبة من الإنفلونزا التى تنتقل منها عادة إلى دولٍ أخرى، غير أن الفيرس هذه المرة شديد الخطورة وسريع الانتشار بصورة مزعجة ومرعبة، الناس سيّدي يكادون يموتون فزعا منه ، حتى قبل أن يصلهم أو يصابوا به، وأظن أن جلالتكم ستصاب بالفزع مثلهم إن شاهدت كيف يتلوى الناس من آلام ضيق التنفس وهم نائمون ينتفضون على الأرصفة بشوارع جمهورية قهران الإسلامية، وتصدق بالله: أنا كنت باكره الجمهورية دى زى العمى، لكن لما شفت آلام الناس عندهم صعبوا عليا أكتر ما صعب عليا آلاف الناس اللى بنقتلهم احنا وبأسلحتنا ظلما وعدوانا.

ـ وحياة ابوك ما تفكرنا بالظلم والعد اون دلوقتى احسن يكون ربنا بينتقم منا بذنوب ضحايانا جتك البلاو ي، ولّا يكون ربنا بيعاقبنا كما عاقب قوم لوط من قبل ؛ لأننا شرَّعنا زواج المثليين ببلادنا كما صرح بذلك أحد زعماء الشيعة.

ـ الأمر خطير للغاية سيّد ي، ويبدو أن عبقريتكم بقراراتكم وأوامركم لنا دائما بالاستعداد لحرب عظمى جعلتني أشك أن

سيادتكم لديكم موهبة قراءة الكف وبتضرب الودع، أو إنك من أولياء الله الصالحين واحنا مش عارفين، وكنا ظالمينك.

ـ إذن فاسمعن ي جيدا معال ي الجينيرال ... لا شك أن الأوضاع تزداد سوءً بإمبراطوريتنا فى كل ساعة عن الت ي سبقتها، ولد يَّ معلومات أكيدة عن أن ضحايا الفيروس بإمبراطوريتنا ستكون مُفزعة وبصورة أضخم مما يمكننا قبوله أو تحمله، يبدو أن الحرب صارت قرارا حتميا إذ أفادنى العاملون الذين يستعدون لقيادة حملتى الانتخابية بعد شهور قليلة أن شعبيتى تنخفض بصورة مُخيفة مع ارتفاع نسبة الإصابات والوفيات، ولد يَّ تقارير أخرى أن الفيروس ربما انتشر بأسرع مما نتخيل ليصيب جميع ولايات إمبراطوريتنا، لذا فلتنصرف الآن إلى مكتبك لعقد اجتماعٍ فورى ومستمر ، بل ومفتوح مع قادة أسلحتك للتخطيط والإعداد للحرب المزمع القيام بها ضد تلك الجمهورية سبب انتشار الوباء والبلاء على الكثير من الأمم و علينا، أما الآن فعليك أن تخبرنى كم من الأيام تحتاج لتخبرنى عن خطط الحرب وعن ساعة الصفر؟.

ـ سأعود إليك سيدى بعد عشرة أيام لأوافيكم بالموعد.

ـ سأنتظرك بعد أسبوع، ولتتفضل بالانصراف.

ـ طب ما تخليهم تسعة أيام فخامتكم، يعنى الأسبوع ز ي ما جلالتكم سمحتم لنا، بالإضافة يعنى لليومين بتوع الويك أند ، جلالتكم عارف أحنا ما بنصدق ييجي عشان نرقص ونسكر.

ويك أند أيه وزفت أيه يابن الجزمة واحنا فى البلوة د ي، يالا غور، ثم أتنى بما طلبته منك بعد أسبوع بالتمام.

- تمام يافندم.

موعد الحرب

كان سطح مكتب الأمبراطور يبدو فوضويا للغاية بما عليه من تقاريرٍ وملفاتٍ وأوراق مُتناثرة هنا وهناك، وإلى جواره وقفت مديرة مكتبه الحسناء - التى لطالما حاول التحرش بها كأسلافه - كانت تحاول يائسة ترتيب أكوام المستندات التى كان يُطالعها جلالة الأمبراطور ثم يلقيها هنا وهناك حتى أتى معالي وزير الدفاع مُلقيا عليهما السلام الذى لم يرده أحد عليه ، كأنهما لم يسمعاه أو حتى يشعر أيهما بحضوره إلا بعد أن رفعت مديرة المكتب رأسها فأدركت وجوده، وبعد أن رحبت به أشارت إلى الكرسي الذي أمام المكتب كأنها تطلب منه الجلوس عليه، وبعد أن رشف جلالة الإمبراطور رشفة سريعة من كأسه الذى كان فارغا تماما قال لوزيره:

- أهلا مكنمارا وزيرنا المبجل، هات ما عندك.

- أهلا بك جلالة الإمبراطور المعظم والمنتصر بالله وبأمره ومشيئته، بداية فقد تركت العديد من الملفات على مكتب مديرة مكتب جلالتكم بالخارج لاطلاعك عليها إن كنت راغبا فى ذلك، وقد أتيتك الآن بخطة مفصلة لتنفيذ رغبتكم فى محو الجمهورية الشايناوية من الوجود على ذنب لم تقترفه المسكينة سوى أنها قد تفوقت علينا وسبقتنا بجميع مناحي الحياة وأضحت أغنى منا، ولكن ماذا عسانا أن نفعل سوى تنفيذ رغباتكم، وأوامركم.

ـ إذن تفضل بتفصيل حديثك.

ـ مذ غادرت مكتبكم سيِّد ي بلقائنا السابق وحتى الآن وأنا عاكف على دراسة الأمر مع السادة قادة أفرع وأسلحة قواتنا المسلحة، وعلى رأسهم كان قائد قواتنا الفضائية، وقد أطلعتهم على مبررات حربنا الشاملة لمحو أعدائنا من الوجود، و لكم كنت سعيدا لتفهمهم جميعا لقرار جلالتكم بالحرب، وقد أقسم جميعهم على أن يقدموا أرواحهم فداء لجلالتكم ولعرشكم ولإمبراطوريتنا العظمى، وفى النهاية تمت الموافقة وبالإجماع عل استعمالنا لكافة الأسلحة الفضائية منها ، والأرضية بما تشمله من أسلحة الدمار الشامل، بالإضافة للأسلحة الجرثومية ردا على ما قامت به الجمهورية الشاياوية بغزونا وغزو حلفائنا بفيروسها، ظانة أننا لن نتمكن من اكتشاف ألاعيبهم الدنيئة، والحمدلله الذى نسجد له شاكرين أن أمات عشرات الآلاف من مواطنينا جراء إصابتهم بذلك الفيروس المهلك حيث عجل ذلك، بل وأثر فى سرعة وجدية اتخاذ قادتنا لقرار الحرب الحتمية، بل واعتبروها مسألة حياة أو موت.

ـ عظيم، عظيم جدا، وبالمناسبة فقد كنت سعيدا كلما ازدادت أعداد الضحايا، موقنا أن ذلك سييسر مهمتنا فى إقناع قادتنا وشعبنا بحتمية الحرب، والآن قل لى ؛ متى حددتم ساعة الصفر؟

ـ الحقيقة سيِّدي أن قواتنا ومنذ توليتم جلالتكم عرش البلاد بحالة استرخاء بعد قرار الكتم بالانسحاب من جمهورية

خيماغستان التى حاربها أسلافكم بحجة الحرب على الإرهاب، وأيضا بعد إشعال سلفكم للحرب عقب أنشائه للجماعات الدينية بمنطقة الشرق الأوسط ، وخاصة ببلاد شمال إفريقية وبلاد بين النهرين ثم انسحبتم منها تاركين الأمر للقوات السولفنتية والقهرانية بالإضافة إلى قوات الخليفة المنتظر التى كوَنها من الجماعات الإرهابية التى قمنا نحن بالتنسيق معه لتدريبها وتمويلها وتمريرها عبر بلاده للبلاد المراد تدميرها، ونفس الشيء فعلتم بالدولة القذافية التى قتلنا قائدها ومكنا الإرهابين منها ، ثم تركناها لقمة سائغة لنفس القوى التى هم من أعدائنا ليهنئوا بها.

على أية حال، ليس الآن هو الوقت المناسب للوم ومحاسبة النفس، فهناك شعوب جهَّلتهم حكامهم فصاروا بجهلهم وقلة وعيهم نكبة على حكامهم، وهناك حكام كانوا بغرورهم وجنونهم، وساديتهم وسوء تقديرهم كارثة على شعوبهم؛ ولذا أرى أنه من الأفضل أن نترك الحكم للضمائر وللتاريخ؛ وعليه فانا أظن أننا بحاجة إلى عدة أسابيع نعيد فيها بث النشاط بقواتنا وتذكيرهم بأن عملهم هو القتال وليس لعب كرة السلة ، وهوكي الجليد، والبيسبول، وغيرها من الألعاب التى نهواها ، ثم نبدأ باستئناف التدريبات لهم، ومن ثم الاشتراك ببعض المناورات بالأسلحة الحيَّة، بالإضافة للتدريبات القتالية المختلفة، أما الخبر الطيب سيِّدي فهو أن قواتنا الفضائية وعلماءنا منهمكين فى اختراع سلاح فضائي سيكون له بالغ التأثير فى التغلب على

أعدائنا باستعمال الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء جنبا إلى جنب مع أشعة الليزر ...

ـ عظيم، عظيم، لكن ماعندكوش ألوان تانية؟.

ـ ألوان تانية أيه جلالتك؟.

ـ ألم تحدثني عن الأشعة البنفسجية والحمراء؟

ـ وهو احنا سيِّد ي بنبيع قمصان نوم وملابس داخلية حريمي عشان تقولي مافيش ألوان تانية؟.

ـ المهم متى حددتم ساعة الصفر.

ـ الأمر سيِّد ي يحتاج من ستة إلى ثمانية أشهر حتى نكون جاهزين للمعركة الكونية الكبرى.

ـ ستة أيه وتمانية أيه يابن الهبلة؟ أنت شاكلك مش فاهم حاجة خالص، أنت ناسي أن الإعدادت للانتخابات هاتبدأ بعد خمس شهور، وانا أصلا عامل الحرب دى لأن إعادة ترشيحي يُعدُّ أمر مشكوك فيه بعدما فقدت الكثير من شعبيتي بين الجماهير بسبب أم فيروس كرونا الرهيب ده.

ـ صحيح سيِّد ي صدقت فقد علمنا بذلك من مصادرنا، بل والأدهى من ذلك أنني سمعت الناس تطالب بعدم ترشيح أيٍّ من قادة الدول الرأسمالية بعدما اكتشفوا عجزهم عن مكافحة الجائحة ، مُعتبرين ذلك دليلاً على فسادهم وأيضا على ضحالة تفكيرهم واستراتيجياتهم ، و كذلك إهمالهم

للجوانب التى تهم المواطن الذى خُدع فيهم وتأكد أن أموال ضرائبه قد استغلت فيما هو ليس ضروريا ، فى حين أهملوا بناء المستشفيات ودور الرعاية بالصورة الكافية لمواجهة المخاطر الصحية والاجتماعية، للأسف سيِّدي.

إن شعوب العالم الغربي الآن قد اكتشفوا أن حكامهم ما هم إلا خيال مآتة يجلسون على عروشهم بقصورهم، ولا يجيدون إلا الابتسام و حلو الكلام، بل إننى سمعت بأذنى أحدهم يقول: ولماذا لم يفعل الرأسماليون الغربيون كما فعل التجار بمصر وأنشأوا العديد من المستفيات الاستثمارية التى تُدرُّ أرباحا باهظة، حيث يدخل المريض مشفاهم للعلاج ويخرج محمولا على الأكتاف بعد أن يدفع كل ما ادخره بحياته من مال، وربما استدان أيضا أو شحت من أهل الخير نظير ذهابه لتلك المشافى، وياريته بيخف، هناك سيِّد ي العديدون من غير القادرين على دفع مصاريف علاجهم وأعباء غرف الرعاية المركزة الغالية للغاية فيحجزون جثثهم لديهم، ولا يفرجون عنها لتدفن إلا بعد دفع الفاتورة، ثم إن هناك حالات حرجة للغاية كحالات الحوادث ؛ لا يسمحون بدخولها المشفى ، ولا ببدء علاجها حتى بالإسعافات الأولية ؛ قبل دفع الدفعة المقدمة، ولكم حدثت حالات وفاة بسبب النزيف الذى يرونه بأعينهم ولا تحن قلوبهم على الدم المسكوب بغزارة أمامهم على الأرض ؛ فلماذا سيِّدي لا نفعل مثلما يفعل تجار الصحة المصريون، إن عدد المشافى الصحية بمصر سيِّد ي يزيد على أعداد محلات

السباكة بها، فلنقتد ي بهؤلاء التجار سيِّد ي ونبدأ فورا بتشجيع الاستثمار بالتجارة الصحية.

ـ استثمار ايه يابن الجزمة اللى هانشجعه دلوقتى؟ أأقولك عايزين نحارب تقولى مستشفيات ومحلات سباكة؟ يا راجل ده الدكتور فى المستشفيات اللى بتتكلم عليها د ي بيولد الولية ولحظة ما المولود يصرخ بيسيب المستشفى ويجرى، كأنه خايف من المولود ليضربه، ولا بيهتم أن كان صحة المولود كويسة ولا لأ، ولو المولود يا عين أمه عيان يتصلوا بالدكتور اللى ولِّد يقولهم: أنا خلصت مُهمت ي، شوفوله دكتور تانى يعالجه. عرفت بقى يا خويا ليه معظم أطفال مصر عندهم الصفرا؟ يا راجل دى الحموات فى مصر هايتجننوا أنهم كانوا بيخلفوا اتناشر عيل ، والداية هى اللي كانت بتولدهم، ودلوقتي كل البنات بتولد قيصرية بناء على نصيحة الطبيب والحسابة بتحسب، قرفتن ي بأفكار أمك السودا دى. متى ساعة الصفر سيادة الجينيرال؟

ـ أظننى سيدى بحاجة لأسبوع آخر لإخبارك بها.

ـ طيب ياخويا خد لك كمان أسبوع ، ولو أن شكل أمك هاتودينا فى داهية انت وقادة قواتك والخبرا بتعوك.

باى باى ماريكا

كانت الإعلامية الماريكية السمراء الشهيرة تتحدث عن الجائحة التى اجتاحت دول العالم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً وبدرجات متفاوتة فى عدد الإصابات التى بلغت عشرات الآلاف، خاصة بالدول الكوروبية الحليفة للإمبراطورية الماريكية فى حين بلغت المئات فى بعض البلدان، والعشرات فى البعض الآخر، أما الملفت للنظر فهو أن الفيروس كان قد بدأ انتشاره بالجمهورية الشاياناوية الملحدة، ثم انتقل بل ونُقل منها إلى الجمهورية القهرانية الإسلامية، مما يجعلنا غير متأكدين تماما، عمَّا إذا كانت الجائحة تُعدُّ عقابا من السماء أصاب الأولى لتعذيبها للمسلمين الذين يُعدُّون أقلية من مواطنيها كما يدعى المسلمون بالدول الإسلامية، أم هو اختبارٌ من الله لإيمان الناس بالجمهورية القهرانية؟ أم عقاب لهم لبعدهم عن الله؟ وحتى الآن لا يعلم أحد عما إذا كانت الجائحة عقاباً سماويًّا، أم اختباراً لإيمان المؤمنين.

بعد فاصل قصير عادت الإعلامية لتستعرض آثار وصول الجائحة لعدد من الولايات بأعدادٍ تدعو للقلق والتخوف من انتقاله سريعا لجميع ولايات الإمبراطورية العظمى، وبصورة ربما لا نكون مُستعدين لكبح جماحها والقضاء عليها تماما، إذ تعلن وزارة الصحة عن ازدياد أعداد الإصابات بصورة

مخيفة بل ومرعبة ومقلقة أيضا إذ إنها تعلن عن إصابة الآلاف، بالإضافة إلى الآلافٍ الذين يلقون حتفهم فى كلِّ يومٍ بصورة جعلت مسئولى الصحة يتوقعون أن تتخطى أعداد القتلى لحاجز المليون ، إن لم تتخذ الحكومة والمسؤولون التدابير اللازمة بشأن استيراد الكمامات واللوزام الطبية الضرورية من الجمهورة الشاينواوية ، هذا بالإضافة للعقاقير اللازمة لمجابهة الأمر والحد من انتشار الوباء.

وبعد فاصل قصير آخر استعرضت فيه الإعلامية لبعض صور الضحايا، أعلنت الإعلامية عن اتهام الحكومة الشاينواوية لجهة خارجية لمسئوليتها عن إصابة المدينة الشاينواوية بالفيروس، ثم عرضت تسجيلا لتصريح أحد المسئولين الشاينواويين بأن هناك احتمالية أن يكون الجيش الماريكي هو من جاء بذلك الفيروس "كوفيد - 19" إلى تلك المدينة الشاينواوية ، والتى أنتشر منها إلى معظم دول العالم كانتشار النار فى الهشيم ، للدرجة التى أصبحت فيها الأوضاع خارج السيطرة تماما، وللدرجة التى قال فيها زعيم أحدى الدول الكبرى لمواطنيه «ودِّعوا أحبابكم».. وهذه زعيمة دولة كبرى أيضا تقول لشعبها إن 70% من شعبنا سوف يتعرضون للإصابة بفيروس كورونا.. كما صرح زعيم أكثر الدول الكوروبية تضررا وأكثرها عددا من حيث الإصابات والقتلى الذى قال: إننا فعلنا كل ما فى وسعنا وعجزنا عن مواجهة الجائحة، لقد استُنذفت طاقاتنا وعجزنا عن مجابهة الوباء، أيها الناس لم يبق أمامنا سوى انتظار معونة الله ورحمته بنا، فادعوه مخلصين له الدين، صلوا

جميعا وتطهروا يرحمكم الله، ويؤسفنى أن أعلن اعتذار ي لأبائنا وأمهاتنا العجائز ؛ لأننا لن نتمكن من استقبالهم ومُعالجتهم لأننا سوف نركز اهتمامنا بمعالجة الشباب ، إذ إنكم لم يعد منكم فائدة لبلادنا، نحن نعلم أنكم أحق بالرعاية طبقا لعقيدتنا الرأسمالية إذ إنكم أكثر من دفع رسوم التأمين الصحى لخزينة بلادنا، نعم نعترف ونقر بذلك، أنتم أكثرنا خبرة بالحياة، أنتم تعلمون أيضاً أننا بزمن المصالح للأسف، ومصلحة بلادنا اليوم مع الشباب، لذا فسوف نعالجهم قدر استطاعتنا، أما أنتم فلكم الله، سامحونا.

- وحياة ابوك هات أم الريموت اللى هنك ده واقفل أم التلفزيون، كفانا ما سمعناه من اللى شغالين عملاء ليأجوج ومأجوج، الله يلعنهم، جتك نيلة عليك وعلى إعلامنا الفاسد والمفسد.

- أمرك جلالة الإمبراطور المعظم.

- ألا تلاحظ سيادة الجينيرال أن الجائحة فى بدايتها قد أصابت أعداءنا، ثم بسرعة البرق انتقلت إلى حلافائنا بحلف الأطلنكى، ثم إلينا وبصورة كاسحة تبدو أعنف مما أصابت به دولة المنشأ ؟ أما العجيب فقد سيطرت الجمهورية الشاينـاوية بسرعة مُزهلة على المرض الذى كاد يختفى من كافة مُدنها، وكأنهم قد أرسلوا لنا كل الفيروسات التى أعدوها لغيظنا بإظهار قدراتهم وإثبات عجزنا أمامهم وأمام العالم، وبذا سيمكنهم إقناع البلاد والعباد بأنهم الأغنى والأذكى والأقوى، بل والأفضل والأولى والأحق بقيادة العالم

وخلق نظام عالميٍ جديد، بديلا عن نظامنا الفاشل الذى قادنا إلى الهاوية.

ـ أوه سيِّد ي الإمبراطور ما أذكاك، يا لعبقريتك الفذة، أنه لأمرٌ جدير بالدراسة والتأمل حقا، كما أن هناك أمر آخر أضيفه لتأملات فخامتكم، هو أن الجمهورية الشاياناوية تلك، كانت أكثر الفائزين فى هذه الجائحة التى لا ندرى كيف تمكنت من السيطرة عليها بسرعة البرق، وليس هذا هو الجدير بالتأمل فى الأمر، بل الأكثر منه جدارة ، أن الجمهورية السولفنتية قد أرسلت عدة طائرات محملة بالمعونات الطبية للحكومة الليطالية حليفتنا فى حلف الأطلنكى، كما شملت المعونة بعض الأطقم الطبية والعقاقير التى ساعدت فى شفاء العديد من الحالات، وكان طبيعيا أمام ذلك الكرم أن يُخفض الشعب الليطالى علم الاتحاد الكوروبى، ثم يظهر للعلم السولفنت ي ويرفعه بعد تقبيله شاكرين، إن لهذا دلالة خطيرة للغاية سيِّد ي يجب علينا معالجتها على وجه السرعة وبصورة أسرع مما نعالج بها المصابين بالوباء، ألا تتفق معي سيِّدي؟

ـ وحياتك بالمناسبة بس تقولى، هىَّ الدولة الليطالية معانا فى حلف الأطلنكي؟ يا ريت تسأل حد من جنودك وترد عليا. أما عن مسألة اتفاقي معك، فأنا أتفق معك تمام الاتفاق، ويمكن للمرة الأولى أيها الجينيرال، والآن فلتسمعنى جيدا.

أولا: بلِّغ رئيس جهاز المخابرات لدينا بنشر جميع عملائه وأفراده بكل مكان على ظهر الكرة الأرضية، وعليه

وبالتعاون مع قواتنا البحرية بالسطو على أى سفينة تحمل مهام أو أدوات صحية ونقلها فورا لإمبراطوريتنا العظمى، وعلى عملائك أن يتجسسوا ويتحسسوا أى هيئة تتوصل إلى إنتاج علاج أو لقاحٍ، أو مصلٍ يقض ي على هذا الوباء، فسارعوا بشراء واحتكار أسرار تصنيع ذلك المنتج بأيّ ثمنٍ كان، أريد أن ننتجه نحن ونعالج به شعبنا أولا ، ثم نبيعه لباقي الشعوب بأسعارٍ باهظة فى السوق السودا ، ثانيا: هل أنتم فعلا مسؤولون عن زرع هذا الفيروس بتلك المدينة الشاياوية؟ وأتمنى أن تكون إجابتك بالنفي لأن لدى فكرة لا تخطر على عقل بشر. أجبني بسرعة وبصدقٍ من فضلك.

ـ بداية سيّد ي، دعنى أتوجه لجلالتكم بجزيل الشكر إذ إنها المرة الأولى منذ تعيينى وزيرا لكم تقول ل ي من فضلك، والحقيقة سيّد ي: أنه عندما علمت بتصريح ذلك المسئول الذى يتهم فيه جيشنا ذلك الاتهام، تأكدت أن إعداءنا يفكرون ويكيدون لنا بنفس الصورة التى نفكر ونكيد لهم بها، فقد أكد لي المعنيين بوزارتنا وأجهزتنا الاستخباراتية أن هناك معملا بتلك المدينة التى بدأت الجائحة تنطلق منها ينتج أنواعا من الفيروسات القاتلة، ويبدو أن أحد تلك الفيروسات قد هرب من معملهم وأصابهم بما أرادوا أن يُصيبونا به، لكنهم أخفوا الأخبار وتكتموا عليها لعدة أسابيع، ولم يعلنوا عن ذلك الوباء إلا بعد أن أصبح معلوما للجميع، لكنهم وحتى الآن ، ما زالوا يخفون عنا الكثير بخصوص كيفية هروب الفيروس من معملهم، وعن الأعداد الحقيقية لضحاياه منهم، وأظن بل أكاد أجزم أنه وبعد انتشار الوباء بمعظم دول العالم بما فيها

إمبراطوريتنا العظمى، ما كان إلا انتقاما منا لنذوق ما ذاقوه من العذاب ونحن برأء من ذلك. فلتتأكد سيِّد ي من براءتنا التامة من ذلك الفيروس ومن دم ابن يعقوب كمان والله.

ـ حسنا وزيرى الكريم، اظنك سمعت وزير الدفاع الأسبق حين قال: إن أمام إمبراطوريتنا أعداء ثلاثة هم: الجمهورية الشاياوية ، والجمهورية الشاياوية، والجمهورية الشاياوية.

ـ نعم سيدى سمعته بكل تأكيد وهو محق فى ذلك وأتفق معه تماما. وهى الآن أخطر بكثير عن الزمن الذى قال فيه ذلك.

ـ عظيم، الحقيقة التى يؤسفنى أن أخبرك بها هى أن من سبقونا على كرسى العرش لم ينتبهوا لذلك التنين الذى أصبح ينمو ويتوحش بصورة مخيفة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، وإن لم نسارع بإيقافه وتعجيزه، فسوف نندثر خلال سنوات كما اندثرت الديناصورات فى العهود البائدة.

منذ عدة عقود قليلة بالنسبة لعمر الشعوب لم يكن هناك لتلك الجمهورية شأنٌ يُذكر بين القوى العظمى بتاتا، وفجأة استيقظت شعوب العالم على من يطرق أبوابهم ليجدوا شابات وشبا ن شاياويين يحملون أكياسا على ظهورهم يخرجون منها بضائعاً مُختلفة ، مصنوعة بجمهوريتهم ويبيعونها بربع الثمن الذى تبيعهم بها بلادهم لمنتج اتٍ مماثلة؛ ولذا تهافتت الشعوب على شراء تلك المنتجات رغم رداءة صنعتها وسرعة تلفها، لكن المستهلك وعلى أيَّة حالٍ يفضل أن يدفع الأقل دائما، وإن تلف المنتج فالناس

يعتبرونه قضاءً وقدرًا لا يُردُّ، المهم بدأت مصانع تلك الجمهورية بإرسال مندوبيها ليجوسوا خلال الديار ، وبين المحلات والأسواق التجارية بكل بلدان العالم ليبيعوا منتجاتهم الكهربية، وقطع غيار السيارات المقلدة وبأسعار أقل كثيرا وللغاية عن الأصلية، وأيضا تهافت الناس عليها، يعنى خربوا بيتنا الله يخرب بيتهم، أما الأنكى من ذلك فهو أن شركاتنا العملاقة الغبية انتقلت لتصنيع منتجاتها بكافة أنواعها وخاصة التكنولوجية منها لأنتاج أجهزتهم بتلك الجمهورية نظرا لرخص الأيدى العاملة لديهم بصورة ضئيلة للغاية لديهم وأقل كثيرا جدا عما ندفعه لعمالنا، هذا بالإضافة لإعفائهم من الضرائب الباهظة التى كنا نأخذها منهم، ولذا فقد صارت تلك الجمهورية وفى غضون سنوات قليلة تُعد مركزا للأسواق العالمية، وفجأة سمعنا أنهم أطلقوا أقمارا اصتناعية، وسفن فضاء ثم انتقلوا لتصنيع الصواريج القادرة على حمل رؤوس نووية، أما الأدهى من هذا كله فهو أنهم ومنذ عشرات السنين يُضيِّعون علينا مليارات الدولارات بسرقة تكنولوجيتنا التى بمجرد تصميم خبرائنا لبرامج الكمبيوتر الهامة والتى نبيعها للأفراد والهيئات والشركات بآلاف الدولارات ، نجدهم نسخوها وضربوها وفككوا شفرتها خلال أيام ، ويعرضونها للبيع فى كل دول العالم، خصوصا لاحبائك بالشرق الأوسط بتلاتين جنيه بس، واحنا نايمين فى العسل.

خلاصة القول: إن هذه الجمهورية أصبحت فجأة شهبندر التجار العالمى، للدرجة التى أخشى إن قضينا عليها كما

نأمل فسوف تتوقف الحياة على كوكبنا، وسوف تلعننا الشعوب ـ بما فيها شعبنا ـ التى تعتمد عليها اعتمادا كبيرا فى تعاملاتها التجارية والصناعية والعمرانية والمعيشية، بل والتكنولوجية أيضا، أنا لا أتمنى أبدا تدميرهم إذ إن دمارهم ليس من الحكمة لأنه أيضا ضد مصالحنا، هم يصدِّرون إلينا أضعاف أضعاف ما نصدِّره إليهم، حتى أن العجز التجارى بيننا ضخم ولصالحهم للأسف، ولكن ... لا مفر من القضاء على مشروعهم الرامى لأن يحلُّوا محلنا لقيادة العالم ، وبنظامٍ عالميّ جديد سوف يقضى بكل تأكيد علينا وعلى عُملتنا، أما الكارثة الكبرى فهى أن شعبنا غير راضٍ عن تعاملنا بشأن الجائحة، وربما أدى ذلك إلى عدم إعادة انتخابي مرة أخرى، لذا فأنا الآن أرى أنه لا مناص عن الحرب والمواجهة مع تلك الدولة إنقاذاً لإمبراطوريتنا، ولعملتنا، ولسيطرتنا على العالم، ثم إنقاذاً ل ي أنا شخصيا بكل تأكيد، وأظننى وأخيرا اقتنعت بصواب فكرة أن يظل الحاكم على كرسيه حتى يقتل أو يموت موتة ربنا كما يحدث ببلدان الشرق الأوسط حبايبك.

وعليه فلتعتبر هذا قرار سرى للغاية منِّى بإعلان الحرب، وأرجو أن تبدأ من الآن الإعداد لتلك الحرب بكل ما أوتيت من قوة وحكمة، ومهارة وذكاء، على أن تضع فى حسبانك أن ساعة الصفر ستكون أثناء حملتنا الانتخابية قبل نهاية العام بشهرين على إكثر تقدير، ولتحرص جداً على أن تكون كافة تدابيرك، وخطواتك، وتدريبات قواتك بأسلحتك المختلفة

تحت عنوان "سرى للغاية"، وأنا من ناحيتى لإلهاء خصمنا سأتزعم حملة الرد على اتهامات ذلك المسئول الشاياوى الأحمق لنا بمسئوليتنا عن إصابتهم بالفيروس، بل هو ليس أحمق بالنسبة لنا، لأنه أعطانا الذريعة بالرد نحن وحلفائنا بالقارة الكوروبية ، والقارة الإسترانية ، و أيضا العديد من الدول الحليفة المشاركين لنا بحلف الأطلنكي، مُطالبين جمهوريته بتعويضات خيالية تدفعها لنا نظير الأضرار التى لحقت بكل دولة على حدة، ولربما أعجزتهم تلك المبالغ التى ستقدر بالترليونات من الدولارات عن تعجيزهم فى تحقيق أحلامهم وطموحاتهم، بالإضافة أننا سوف نظهرهم أمام الدول وشعوبها بأنهم أناس أشرار، أرادوا فناء البشر والبشرية على كوكبنا بخسة وحقارة، ذلك أنهم أخفوا أمر الفيروس عند حدوثة عمدا ليتمكنوا من إرسال المصابين من شعبهم إلى جميع دولنا بحجة السياحة والتعلم تارة، وتارة أخرى بحجة التجارة وعقد الصفقات، وعندما تأكدوا من إصابتنا بدأوا يعلنون عن المرض، وهكذا سنقود ونخوض حملتنا ضدهم. والآن جاء دورك لتخبرنى عن رؤيتك النهائية للحرب ونتائجها والخسائر المحتملة التى ربما تلحق بنا عند شنها عليهم؟

ـ الحقيقة سيّد ي، أنه فى مثل تلك الحروب التى يمتلك الطرفان المتحاربان نفس الأسلحة الفتاكة والغير تقليدية، من الصعوبة بمكان تحديد النهايات، وكما قلت لجلالتكم : إنه حال نشوب تلك الحرب، ربما لا يكون هناك من يبقى على ظهر الكرة الأرضية ليحتفل بنشوة النصر، وتأكد جلالتكم من

أن قرار الحرب ما هو إلا قرا ر بفناء البشرية والحياة عن آخرها، حتى الدول التى لن تشارك بها سوف يلحقها الفناء لكن، ربما تطول مدة فنائها قليلا عمن سيشاركون بالحرب مباشرة، إذ سوف ينتشر الغبار الذرى والهيدروجينى هنا وهناك عبر الرياح والعواصف، بمعنى أن الأمم البعيدة عن ساحة القتال ستموت بطريقة الموت البطئ.

ـ أتقصد سيموتون على الطريقة التى قالها الشاعر العربي: من لم يمت بالسيف مات بغباره.

ـ بالضبط سيِّدي.

ـ وما رأيك إذاً فى أن نُعيد استعمال نفس الطريقة التى كنا نستعملها قديما مع عدونا اللدود، وأقصد بها هنا الأمبراطورية السولفنتية سابقا، والتى قمنا بتفكيك دولها وسقوطها دون أن نطلق طلقة رصاص واحدة، ونفس الشيء فعلناه مع العرب.

ـ ماذا تقصد سيِّدي ؟

ـ قبل أن ننجح فى تفكيك إمبراطوريتهم التى كانت تنازعنا السيطرة على العالم منذ عقدين وأكثر، اعتدنا نحن ، إن هم تدخلوا بمنطقة تمثل لنا حساسية أمنية نهددهم بالحرب، وكانوا هم كذلك يهددون إن فعلنا نفس الشيء، وصحيح أن كلًا منَّا لم ينطق بلفظ الحرب النووية، غير أن كلا منا كان يخشى أن يتطور الصراع بصورة يضطر أىّ منا إلى

استخدامها، ولكم حُلَّت العديد من الأزمات بالجلوس والتفاوض والوصول إلى حلولٍ وسط، فلماذا لا نستعمل نفس الاستراتيجية مع الجمهورية الشاينـاوية العظمى؟ ربما قبلت الجلوس معنا تفاديا للحرب ودمار العالم، وأظننا بوضعٍ الآن يسمح لنا بفرض بعض الشروط الت ي لطالما رفضوها، بل ووصل الأمر بهم، أنهم أصبحوا يرفضون الجلوس معنا باعتبار قوتهم مماثلة لقوتنا، أو ربما قد تفوقوا علينا، ثم إنهم متأكدون بأنهم سوف يتخطوننا ويتقدمون علينا كثيرا خلال عدة سنوات ربما تُعدُّ على أصابع اليد الواحدة فى حين نبدوا نحن عاجزين عن إعاقتهم بوسائلنا العادية ، وبعقوباتنا الاقتصادية ، وبالحظر الذى نفرضه عليهم، وعلى غيرهم، وقد رأينا أنه غير ذي جدوى حتى على الدول الفقيرة مثل دولة قهران التى قهرتنا بإطلاقها قمر اصتناعيّ عسكرى منذ أيامٍ ، رغم أن شعبها يموت جوعا منذ عشرات السنين، وكأنها تقول لنا سلملى على الحظر يا جلالة الإمبراطور.

ـ أظن أن رأ ي جلالتكم سديد ورشيد سيِّد ي، وهذه طبيعة قراراتكم دائما منذ توليتم عرش البلاد، وأكاد أسمع تهديدكم بالحرب، وأسمع السَّيِّد رئيس الجمهورية الشيناوية المتفوقة علينا يعرض الاجتماع بكم لتسوية الخلافات بيننا وبينهم، وربما استطعنا بالعمل معا بالقضاء على الجمهورية السولفنتية وللأبد.

ـ وما الذى يجعلكم على يقين بأنه سيفعل ذلك ياخويا؟

ـ لأنه رجل أحسبه من العاقلين والبنائين والأذكياء سيِّد ي وليس مجنونا كبعض الحكام الذين نعرفهم جيدا.

ـ تقصد مين يابن الجزمة بتعرفهم جيداً دي؟

ـ عليا الطلاق سيِّدي ما أقصدك أنت، ماتفهمنيش غلط .

ـ أراك تقصد ألا أفهمك صح. المهم، كيف تظن أذاً ما ستؤول إليه إجتماعاتنا مع ذلك الرجل ؟ وما هى البنود التى نناقشها معه لتحقيق أقصى المكاسب.

ـ هناك سيِّدي اتجاه عالمى بإنشاء حكومة دولية تدير العالم بأسره كدولة واحدة، بعد أن قضيت أنت على العلمانية بقولك بلادنا أولا، وبتأكد الناس من استعباد الرأسماليين للبشر وخاصة الفقراء منهم والعمال، الذين ادَّعت الشيوعية والاشتراكية أنها ستنصفهم وتملِّكهم لوسائل الإنتاج، وإذا بنظامهم ينشر الرشوة والفساد والتسول فى كل البلدان التى اعتنقته، خوفا من الرأسمالية وجشعها بل وحقارتها. هكذا يقول الناس سيِّدي، وناقل الكفر ليس بكافر.

ـ وهل تظن أن ذلك سيمكنا من استمرار سيطرتنا على العالم بالصورة التى كنا عليها قبل أن ينافسنا الشيناوية ؟

ـ سيطرة مين سيادتك اللى بتتكلم عنها وعليها، الواقع أن فكرة الحكومة العالمية دى فكرة حبايبنا أبناء يأجوج ومأجوج، الذين هم بصورة أو بأخرى يديرون العالم من تحت الأرض ويعيِّنون رئيساً ويخلعون آخر، وسور ي يعني

جلالة الأمبراطور، هو فخامتكم فاهم ان لولا هما كنا شوفنا وشك على العرش ؟ هم سيِّد ي من يديرون العالم من وراء ستار، وهم الذين يُروجون لتلك الفكرة مُستغلين الجائحة التى اجتاحت جميع دول العالم، ومُستغلين حالة الهلع المسيطر ة على حكام ووزراء الدول الكبرى لتحقيق حلمهم الأزلى.

ـ على أيِّ حال أنا لست مع فكرة الحكومة العالمية هذه، لأن معنى ذلك وببساطة أن أكون أنا وأنتم كدابين زفة . أليس لديك رؤية أخرى تحقق لنا مكاسباً وتحفظ لنا سيطرتنا؟

ـ الحقيقة سيِّد ي أن هناك أفكارا أخرى يطرحها الخبراء والمفكرون هى أن تتقاسم النفوذ قوتين أو أكثر، ويقترحون أن تُقسَّم النفوذ والسيطرة ، إما بيننا وبين الجمهورية الشاينـاوية؛ أى أن تكون سيطرة ثنائية، أو ربما تكون ثلاثية إن أبت الجمهورية السولفنتية أن تطلع من المولد بلا حمص.

ـ حمص أيه وترمس أيه ابن الجزمة ده؟، طيب يا فالح وإذا قبلنا بتقاسم النفوذ فكيف يكون ذلك برأيك؟

ـ أظنها ستكون على طريقة سايكس بيكو التى نجحت فى تقسيم العرب ودولهم بين إنجلترا وفرنسا.

ـ ممكن ماتجبليش سيرة أم سايكس وبيكو بتوعك دول؟ أنا باتشآم من أمهم.

ـ ولماذا التشاؤم سيِّد ي؟ ده حتى التشاؤم حرام شرعا، ثم إن العرب لم تقم لهم قائمة منذ تم تقسيمهم طبقا لتلك

الاتفاقية التى وعلى الأقل مكنتنا من زرع إسرائيل بقلب الوطن العربي، وما زال العرب مقهورين بذلك للآن، حتى إن وعاظهم يدعون الله كثيرا كى يبعث صلاح الدين الأيوبى هو وعنترة عشان يحرروا لهم القدس مرة أخرى، لآن عرب اليومين دول ليس لديهم الوقت لتحريرها لأنهم منتظرين يحرروا أنفسهم من أنفسهم أولا.

ـ أظنك سيادة الجينيرال كنت تغضب عندما أناديك بالأحمق، أليس كذلك؟

ـ نعم سيِّدي، صدقت كعادتك.

ـ وأظنك أيضا أقسمت لى بالطلاق ذات مرة رغم أننا غير مسموح لنا بالطلاق.

ـ نعم سيِّدي، صدقت فى ذلك أيضا.

ـ طب طلاق على طلاقك بقى أنك حمار، إسرائيل أيه الل ي زرعناها وسايكس بيكو ايه اللى زرعتها، أنت مش عارف أن الإمبراطورية الفرنسية والإنجليزية انهارتا تماما بعد المناحيس سايكس وبيكو بتوعك دول ، عايزنا نعمل نفس الإتفاقية مع الشاياوية عشان إمبراطوريتنا تروح فى الباى باى هى كمان ياخويا.

ـ لا أدر ي سيِّد ي، ماذا أقول بعد كل ما قيل، وسموُّك لا يعجبك أى شيء يقال يبقى أحسن انا أسكت وانت اللى تقول.

ـ عظيم دعنا نفترض أن الشاياناوية رفضوا الجلوس معنا ، وأخذوا تهديداتنا بالحرب مأخذ الجد وبادؤنا هم بالهجوم، فهل سنتمكن من الرد عليهم وهزيمتهم.

ـ نعم سيِّدي هذا أمر محتمل حدوثه جدا ببركة دعا الوالدين، وهناك أيضا احتمالات مُرعبة حال حدوث ذلك.

ـ حدثني عن تلك الاحتمالات.

ـ الاحتمال الأول هو أن نكون قد قمنا بتضخيم قوتهم وأن أسلحتهم قد تكون فاسدة كمنتجاتهم، أنسيت ماكينة الحلاقة اللى اشتريتها منهم وباظت بعد أسبوع؟.

ـ هذا صحيح ويبدو أنك لم تكن أحمقا بالدرجة التى كنت أظنها. عظيم وماذا عن باقى الاحتمالات.

ـ هناك احتمال أنا منه متأكد وهو أن جميع قواتنا الذرية منها والفضائية والجوية والبحرية بترس اناتها الصاروخية المُدمرة ستكون فى حالة استنفار قصوى فى الوقت الذى تحدده جلالتكم، وربما تكون قادرة على سحق المعتدين، بل وربما أغرقت بلدهم لتصبح جزءً من الماضى كقارة أطلانطس الغارقة، أما الاحتمال الأكثر بغضا لنا فهو أن يبدأ العدو بهجوم كاسح يكسَّحنا كما كسَّح الإسرائيليون العرب فى الحرب الشهيرة بحرب يونيو حين دمَّروا طائراتهم وهى على الأرض، فإن حدث هذا بصورة نعجز بها عن الرد، فلن يكون أمامنا سوى الاستسلام كما استسلمت لنا الدولة التى

ضربناها بالقنابل الذرية قديما، وتمكنا بعد قبولها لشروطنا أن نتولى قيادة العالم .

ـ يا خبر أبوك أسود، أتقصد بذلك إعلان انهيار إمبراطوريتنا وعرشنا أيها الأحمق الخنيس.

ـ نعم سيِّدي وأهو الموت علينا حق.

ـ موت أيه وحق أيه الحمار ده ... يالا غور من وشى جاتك البلاوى ... وبالمناسبة روح لصاحبتك البيت لأنها انهارده الصبح اشتكت لزوجتى الإمبراطورة منك ومن كثرة غيابك، ولا أظنك بحاجة للذهاب لوزارة الدفاع بعد الآن.

ـ ماذا تقصد سيِّدي.

ـ قصدى ستعلمه وأنت ببيتك بين أحضان صاحبتك.

ـ بالمناسبة سيِّد ي الإمبراطور، وعلى ذكر سايكس بيكو وانهيار أمبراطوريتهما بعد أن قسمتا الدول العربية بينهما، هناك أمبراطوريات انهارت عبر التاريخ فى هدوء تام، ولا من شاف ولا من دري، وقد نسيت وفخامتكم تحدثني عن حربٍ عالمية ثالثة تقضى بها على منافسينا فى السيطرة على العالم، وكذلك عل منافسيك بالانتخابات القادمة، أريد أن أخبرك قبل أن أنصرف، وهذا من باب الأمانة والإخلاص للعيش والملح اللى بينا، ولعرشكم ولبقائكم سيِّد ي، فإن كنت فخامتكم لا تعلم أن تلك الحرب بدأت منذ سنوات ليست بالقليلة فهذه مُصيبة، وإن كنت لا تعلم أن إمبراطوريتنا

تنهار وتتهاوى منذ تلك المدة فالمصيبة أعظم، الجمهورية الشاياناوية سيِّدي، وكلنا نعرف ذلك منذ سنين تفوقت علينا اقتصاديا وتكنولوجيا وماليا، والمصيبة التي لا تعرفها فخامتك هى أن عملتها ستحل محل عملتنا لتصبح العملة المتداولة عالميا، وستكون هى القوى العظمى المقبلة التي سترسم النظام العالمي الجديد شئنا أم أبينا، وسيتم هذا كله بعقولهم وليس بعضلاتهم وبلطجتهم وقوتهم؛ ولتعلم سيِّد ي الإمبراطور المعظم؛ أنه يوما ما ستجلس أمام الإمبراطور الشاياناوى الجديد، إما قبل أن تتواجها بساحات القتال أو بعدها، وستتفاوضون بشكلٍ ما، إما عن رضىٍ وإما إذعانا، للبحث عن نظامٍ عالميٍ جديد، فلتعلما ولتتعلما من تجارب الإنسانية فى أنظمتها العالمية السابقة التى فى شقها الرأسمالى تعلم الإنسان عبادة المال، وفى أنظمتها الشيوعية الاشتراكية تعلم الإنسان عبادة السلطة والحاكم، وبالرغم من حسن نياتها، إلا أنه وعند اعتناقها وتطبيقها انتشرت الرشوة والتسول والمحسوبية والفساد والديكتاتورية وأصبح فيها الفقراء الذين احتلوا مراكزاً ومواقعاً عُليا، أصبحوا بوسيلة أو بأخرى مستغلين لنفوذهم وسلطاتهم وسلطانهم للدرجة التى استعبدوا فيها الخلق أكثر مما استعبدهم الرأسماليون، وبالرغم من أن الشيوعية قد صيغت للقضاء على الطبقة البرجوازية وتمكين البلوريتاريا لتحل محلها، فإذا بنا نرى البلوريتاريا تتوحش لتكون طبقة برجوازية جديدة حلت محل البرجوازية القديمة وبشكلٍ مختلف عنها، ولأنني متأكد سيِّد ي الأمبراطور أنك لا أنت

فاهم ما أعنيه بالبرجوازية و لا البلوريتاريا، ولا الفرق بينهما، فأنا أعلمك أن البورجوازيَّة هي الطبقة المتحكمة في رأس المال وهذا طبقاً لتعريف كارل ماركس اليهودي الأصل، وكما جاءت بقواميس اللغة ومعاجمها: فهى طبقة اجتماعية وسطى نشأتْ في عصر النَّهضة الأوربيَّة بين الأغنياء والزُّرّاع، وأصبحتْ دعامة النِّظام النيابيّ، ثمَّ صارتْ في القرن التَّاسع عشر الطَّبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج في النِّظام الرَّأسماليّ، وهم يمثلون أعلى شريحة في الطبقة المتوسطة، ومنهم الموظف ومنهم التاجر، إذًا فالبورجوازية هي طبقة اجتماعية من ضمن طبقات كثيرة مثل طبقة النبلاء وطبقة الأرستقراطيين.

أما البلوريتاريا، وكما جاءت بمعاجم اللغة: فهى طَبقة العُمَّال الكادحين المُستغَلَّة التي تكوَّنتْ مع بداية العصر الرَّأسماليّ، وهي تعمل دون أن تمتلك شيئًا. وبصورة أكثر تفصيلا: هى مصطلح سياسي يُطلق على طبقة العمال الأجراء الذين يشتغلون في الإنتاج الصناعي، ومصادر دخلهم تاتيهم من بيعهم لما يملكونه من قوة العمل، وبهذا فهم يبيعون أنفسهم كأي سلعة تجارية. وهذه الطبقة تعاني من الفقر نتيجة الاستغلال الرأسمالي لها، ولأنها هي الطبقة التي تتأثر عن غيرها بحالات الكساد والأزمات الدولية، وتتحمل هذه الطبقة جميع أعباء المجتمع دون التمتع بمميزات متكافئة لجهودها. وحسب المفهوم الماركسي فإن هذه الطبقة تجد نفسها مُضطرة لتوحيد مواقفها ليصبح لها دور أكبر في المجتمع. ويا رب تكون فهمت سيِّدي.

أخيرا سيِّد ي جلالة الإمبراطور ، أُذكِّرك حين تجلس مع الإمبراطور الشاياوي الجديد بما قاله زعيم دولة حليفة لنا كانت هى الأشدد تضررا بالجائحة من حيث أعداد القتلى بها والمصابين، حين أعلن يائسا أننا كبشرٍ فعلنا كل ما فى وسعنا، وعجزنا عن مواجهة الجائحة وليس أمامنا سوى اللجوء إلى السماء وانتظار رحمتها بنا، وك أني أرى فيه فرعون الذى قال حين أدركه الغرق: آمنت برب العالمين، ربّ موسى وهارون. وأيضا أذكرك بمواطنيه الغير مسلمين الذى وقفوا يصلون خلف المسلمين مُبتهلين لله ، بل وداعين معهم أن يرفع الله عنهم البلاء، وهنا أتوسل إليكما سيِّدي أن تبتدعا نظاما عالميا جديدا نعود فيه إلى الله ونحترم فيه إنسانيتنا، نظامٌ يسود فيه الحب والسلام كما قال سيدنا المسيح عليه السلام، نظامٌ يكون فيه كل إنسان حر فيما يؤمن وما يعبد عملا بقول الله فى قرآنه: لكم دينكم ولىَّ دين، وكما قال أيضا: لا إكراه فى الدين قد تبيَّن الرشد من الغيِّ: وكما قال أيضا: ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين ... نصيحة أخيرة سيِّد ي أود أن أسديها إليك عشان بس العيش والملح اللى بينا، وقد حرصت ألا يفوتنى تنبيهك لأهمية مقولة زعيم الجمهورية الشاياوية حين قال: إن العالم بعد الجائحة سيكون مُختلفا تماما عن العالم فيما قبلها، فلتُعدُّ نفسك سيِّد ي لتهنئته فور إعلانه لقيام إمبراطوريته الجديدة، لأن هذا هو ما كان يقصده بالضبط ، ولم يكن كما فهمنا وتصورنا أنه يقصد بتصريحه هذا تراجع نسب النمو ببلدان العالم وازدياد حالات البطالة بصورة

مرعبة مما سيزيد من نسبة الجرائم والمخالفات، وكذلك حدوث أزمات اقتصادية كبرى تؤدى لحدوث ركود غير مسبوق بالعالم، الأمر فى حاجة للحكمة والعقل سيّدي وليس للعضلات ... باى باى فخامة الإمبراطور و حظ سعيد، أو ربما كان غير ذلك، لست متأكدا على أية حال كيف ستكون حظوظنا المستقبلية.

بعد أن انصرف الجينيرال مباشرة ارتمى جلالة الإمبراطور على كرسيه شاعرا بالتعب والإحباط، مال بجزعه حتى يتمكن من الإمساك بهاتفه الذى أصدر فيه أمراً خلال مكالمة قصيرة للغاية ثم ألقاه بعيداً وقال محدثا نفسه: كان ناقص ابن المجنونة يقول ي الإسلام هو الحل.

إنه يعلم أنى أعلم وأسلِّم بالمتغيرات والتغيرات التى تطرأ على كوكبنا بين حين وآخر فتمحو حضارة وتُدمِّر بلدان وتذهب بإمبراطوريات إلى واد ي النسيان، بل وأحيانا ومع تلك التغيرات تندثر بعض المخلوقات وتنشأ أخرى خلفا وبديلا عنها، هو يعلم مثلما أعلم أن منتصف القرن الماضى الذى أطلقوا عليه القرن العشرين، كان فى منتصفه نقطة فاصلة بين عصرٍ ولَّى ، وجاء عصر أكثر تقدماً بعد أن توصَّلنا وتواصلنا مع مخلوقاتٍ تحتل وتعيش جوف الأرض أسفل الطبقة التى نعيش عليها، ولم يكن لنا سبيل من التعرف عليهم سوى بعد مطاردة الحلفاء لهتلر وفلوله بعد انتصارنا عليه فى الحرب العالمية الثانية وعلمنا أنه كان ينوى اللجوء إلى هؤلاء المخلوقات أما لنصرته وإما للعيش معهم، وقد أثمر تو اصلنا معهم على عقد بروتوكولات تعاون مشترك بالمجالات العلمية والتكنولوجية تمهيدا لخلق نظام عالمي جديد نسيطر عليه ونقتسمه بين كلينا، وجاء اليوم هذا الأحمق

لينصحنى بأن أترك لأعدائنا الشاياوية إقامة نظام عالميٍ جديد يتزعمونه ويسيطرون هم عليه بقوتهم وبعملهم، لقد نسى ذلك الأحمق أن كل ما نفعله لسنا نحن بفاعليه، وأن كل ما نفعله هو تنفيذ رغبات قبيل الشيطان الذين يسكنون جوف الأرض، هو يدري أيضا أنه ليس هناك من يعرف عن وجودهم سوى نحن والعرب، غير أن العرب استعملوهم فقط فى عمل الأعمال السفلية والأحجبة ضد بعضهم البعض ؛ بعد أن تمكنت بعض شياطينهم البشرية من التواصل مع الأخوين عفركوش وحمراكوش الذين يسكنون جوف الأرض واستخدموهما لعمل عمل سفلي لمن أتت تطلبه لتتعس به سلفتها بجعل زوجها ينصرف عنها، وللتي تطلب عملا بعدم زواج البنت التي رفضت أن تتزوج ابنها، ولمن أرادت أن يطلق زوجها زوجته الثانية، وهذا كل ما يعرفه القليلون جدا وللغاية من العرب عن ذلك العالم الخفى الذي اقترب سكانه كثيرا من تنفيذ خططهم الشيطانية للسيطرة على الساكنين لكوكبنا بخدعهم ووسائلهم التكنولوجية الرهيبة المتقدمة للغاية، وسوف يتمكنون فى القريب العاجل من السيطرة على كوكبنا الأرضى بعد الخروج من جوفه عن طريقنا، وبالتعاون معنا، هو يعلم أن كل الاختراعات التى توصلنا إليها لم نكن لنخترعها دون الاستعانة بعلومهم وتقدمهم الذى يسبقنا بمسافات شاسعة، وهو يعلم أن تطورنا لم يكن ليكون لولا سرقتنا لحضارات عظيمة سبقتنا بآلاف السنين وما نحن إلا ناسخين لها، هو أيضا يدر ي أن الأوامر قد صدرت لنا ممن يديرون كوكبنا بأن نبدأ الحرب للقضاء على ما يقارب الثمانين بالمائة من البشرية ليتمكنوا من خلق نظام عالميٍ جديدٍ يقضي على كافة الأديان ونسيان الله، ويرتكز النظام الجديد على ابتداع دينٍ يعتنقه هؤلاء القلة الذين سينجون من الحرب المهلكة المنتظرة ويتبقون معنا على قيد الحياة، إنه دين سيكون إلهه الشيطان الذى عصى أمر ربه بالسجود لآدم وأقسم ليغوين البشر أجمعين إلا عباد الله المخلصين.

يا إلهي، أللشيطان مثل هذه القوى الخارقة التى تمكنه من تحدى رب السموات والأراضين ؟ ألهذا الحد كان الله ديمقراطيا مع الشيطان الذى عصى أمره ؟ وهل سيكون هناك من يستطيعون مقاومة تصديق الخدع والحيل التى سيبهرهم بها حاكم الأرض الجديد الذى سيأتيهم من باطن الأرض والذي حذرنا الله منه ؟ سامحنى إله ي فما أنا إلا عبدٌ ضعيفٌ رغم ما أمتلكه من قوىً وامكاناتٍ أخرى تعد ضئيلة بالمقارنة بما لدى الشيطان وأبنائه، بل هى القليل مما منحوه لنا من علمٍ وخبثٍ وحماقة، أنا لست مستعدا للتضحية بحياتي ومعارضتهم ربنا رغم بلوغ ي من العمر أرزله ... سامحني ربّي فليس أمامنا خيار سوى الحرب المهلكة التى بدأت جولاتها منذ سنوات ، وما زلنا فى انتظار الضربة القاضية التى ستحين فى الجولة العالمية الثالثة.

ما إن وصل الجينيرال إلى بيته وجده خاليا، لم تكن صاحبته هناك فى استقباله، هو أيضا كان غير عابئ بوجودها من عدمه، لم يكلف خاطره بالبحث عنها فى غرفتها من فرط إجهاده فارتمى على أقرب كرسى مادا قدميه عن آخرهما، ثم أمسك بريموت التلفزيون الذى ما إن أضاءت شاشته صُدم حين قرأ ما كان مكتوبا عليها بالبنط الأحمر العريض "خبر عاجل" ثم ظهر ذلك الإعلامى الشهير ليعلن:

ـ سيداتي آنساتي سادتي جاءنا الآن البيان التالي:

يعلن القصر الأبيض الأمبراطور ي عن قراره بإقالة السَّيِّد الجينيرال وليم مكنمارا ، وإعفائه تماما من مهام منصبه، وتعيين السَّيد الجينيرال ريتشارد بيل وزيرا للدفاع خلفاً لسيادته، باى باى مستر مكنمارا، أطيب الأمنيات.

نهض مكنمارا مُنخرطا فى البكاء، صارخا كالمجنون بأعلى صوته باى باى مك نا ما اااراااااا، ثم أتجه صوب نافذته التى طلَّ منها مُلوِّحا بعلم الإمبراطورية العظمى يميناً ويسارًا مُناديا للناس بالطرقات: أيها النننننناس اقتربت السَّاعة ... اقتربت السَّاعة وهو يومٌ لو تعلمون عظيييييييم، باى باى ماريكاااااااااااااا ، باى باى ماريكاااااااااااااا ، ظل سادة الجينيرال يودع ماريكا حتى هوى سراقطًا على ظهره غارقا فى بحرٍ من الدماء.

تمـت

مسجد التَّوبة

البراءة

كان مسجد التَّوبة تحفةً معماريةً رائعةً ونادرة، أقامه السَّيّد المستشار ماجد رشدى الذى كان يعمل محاميًا ومستشارًا قانونيًّا لكبرى الهيئات والمؤسسات والشركات، كان مكتبه قبلةً وملاذاً لأصحاب القضايا الكبرى، الشَّهيرة والخطيرة، بل والميئوس من براءتها، أو على الأقل الحصول على حكمٍ مُخفَّفٍ فيها، كقضايا التَّجسس والفساد، والمخدرات والقتل . ذاعت شهرته التى بُنيت على براعته وقدرته على إثبات براءة موكله مهما كانت قوة الإثباتات التى تدينه، لهذا كان المتهمون فى مثل تلك القضايا يهرعون إليه مهما كلفهم ذلك من تعبٍ وأتعاب، كما وأيضا تسارع السَّادة المحامون للعمل بمكتبه طلبًا للخبرة وشرف الانتساب لسيادته.

خلال سنواتٍ قليلة تمكن السَّيّد المستشار ماجد من تكوين ثروة طائلة بعد أن أوكلت إليه أكبر وأشهر القضايا، بل وأكثرها خطورة حيث ينعدم فيها أمل نجاة قاتل من تهمة القتل، أو جاسوس من تهمة الخيانة، أو سارق من تهمة السَّرقة، أو فاسد من تهمة الفساد، وفى مثل هذه القضايا يحتاج المحامى المترافع فيها إلى دهائة ومهاراته العديدة، كأن يشكك فى إجراءات الضبط، أو فى الشكل القانونى له، أو أن يقتنص وجود ثغرة بالقانون وما أكثرها فى قوانيننا، وكأنها قد أعدت بما تتضمنه من ثغرات عن قصدٍ وعمد، كما وأن هناك وسائل أخرى تبدأ باستخدام حق رفع قضايا مضادة، والطعن بالتَّزوير، وإقامة دعاوى قضائية أمام دوائر غير مُختصة رُبَّما أدت إلى رد المحكمة، وكذلك

بمحاولاتهم إطالة أجل القضية بتعدد طلبات التأجيل لاستكمال المستندات وذرائع أخرى عديدة.

فى إحدى القضايا التى كان يترافع فيها سيادة المستشار عن طالبٍ جامعى صدم زميله الطالب بالسنة النهائية بكلية الهندسة فأرداه قتيلا. لم يكن أمام هيئة الدفاع المشكلة من عدة محامين يرأسهم السَّيِّد المستشار ماجد سوى قبول العمل فى القضية إذ كان والد القاتل من أكبر رجال الأعمال المرموقين بالدولة والذى نقل للسَّيِّد المستشار رسالة مختصرة للغاية مستعملا لغة من لديه سلطة وسلطانا، كان نصها:

"أريد البراءة لابنى مهما كلفك الأمر فى سبيل ذلك. تحياتى"

كان القتيل ابناً لعامل فقير سقط من فوق سقالة أحد الأبراج التى كانت تحت الإنشاء فأُصيب بالشلل الذى أقعده عن العمل، ولم يكن أمام أسرته البائسة التعيسة سوى الانتظار لعدة شهور كى ينهى ابنهم الأكبر دراستة الجامعية ويحصل على شهادته ليكون مهندساً يتحمل بدوره مسئولية الإنفاق على أسرته، وكلما مرت الأيام اقترب الأمل من الأم والأب الذين ماتت أحلامهم بموت ابنهم تحت عجلات سيارة أحد زملائه بالجامعة.

المساومة

قبل بدء تداول القضية بأيامٍ، أرسل السَّيِّد المستشار أحد معاونيه البارعين فى إدارة المفاوضات والمساومات بصحبه أحد أعوان السَّيِّد رجل الأعمال الذى يتميز بلباقته ودبلوماسيته الناعمة، وما أن وصلا السَّيِّدان المعاونان إلى حيث تقيم الأسرة المنكوبة بإحدى المناطق العشوائية المليئة بالقمامة والفقراء وبعد أن وضع أحدهم بعض الجنيهات بيد أحد الرجال البائسين ثمنا لرعايته وحمايته لسيارتهما من شقاوة الأطفل البائسين والمشردين مثله، ومن تطفل الكبار المنبهرين، بعد أن رحب الرجل بالمهمة أرشدهم على بيت والد القتيل لتقديم واجب العزاء، وبالطَّبع استخدما جلَّ كلمات المواساة والصبر على ابتلاءات الله لنا، و التى لطالما سمعها المبتلون بمجتمعاتنا لإقناعهم أن ما حدث قدر ومكتوب، وبأن ما علينا سوى الإذعان لمشيئة الله وأمره، وما أيسر أن يتكلم الذين لا يعانون ما يعانيه المصاب من آلامٍ وأحزان. بعد أن نجحا فى تسكين آلام الرجل المشلول الذى عاونته زوجته وأولاده للجلوس حيث كان راقدا على سرير متواضع للغاية، آيل للسّقوط، ولأن الفقراء دائمًا مُؤدبون مُحترمونَ فقد رأت الأسرة أنه لم يكن من اللائق أن يستقبل الأبُّ هذه الشَّخصيات المرموقة والبرَّاقة وهو نائم عاجز عن الوقوف لاستقبالهم والترحيب بقدومهم.

بعد أن نهض الأبُّ مُتكأ بظهره على الحائط خلف سريره، وبعد أن كفكف دموعه وحمد الله فى السراء والضراء، كانت الفرصة مواتية لممثل رجل الأعمال أن يبلغه أن سيِّده تأثر لموت الشاب

غاية التَّأثر، وأنَّه لولا وجوده خارج البلاد لأتى بنفسه لتقديم واجب العزاء ومشاطرتهم أحزانهم، وبأدب وانكسار الفقراء شكر الرَّجل المكلوم للزائرين ولأسيادهما.

لم يكن ممثل رجل الأعمال غبياً حتى يضيِّع هذه الفرصة بل أنتهزها ليقدم عرض سيِّده بأن يتكفل بكل ما يخص والد القتيل ووالدته من فحوصات طبية ، وما يحتاج ان إليه من عقاقير مهما غلا ثمنها، وأيضا يتكفل بكل ما تحتاجه الأسرة جميعها من مأكلٍ وملبسٍ وتعليم، بل إنَّه وعد بنقلهم لإحدى الشُّقق الأكثر راحةً واتساعًا، بل ورفاهية بإحدى المدن الجديدة، إضافة إلى تعيين كل من ينهى دراسته من الأبناء بوظيفة مرموقة بشركاتهم.

لم يكن الرجل الفقير المكلوم يملك سوى أن يجيبه بالدّموع والنحيب، وبأنه لا يريد سوى رحمة الله وعدالته، إذ إن القاتل لم يقتل ابنه وحسب، بل قتل معه وفيه الأمل والشعور بالزَّهو والفخر حين يرى ابنا له مهندساً ، بعد كل ما كابده من تعبٍ ومعاناة وحرمانٍ على مدى سنين هو وأسرته.

كان تأييد الأم لما قاله زوجها عقبة كبرى أمام نجاح خطة سيول الوعود والإغراءات التى لم تكن تحلم بها أسرة عائلها عاجز مشلول وغير قادر على الكسب ، بل وينامون بمكان يشبه الخرائب، وهنا تدخل المفاوض الآخر الممثل لسيادة المستشار فسار حيث سار الأب المكلوم وزوجته البائسة الحزينة بل والمُدمَّرة، أعرب لهم عن تقديره لمشاعرهما نحو فقدان ابنهما، ثم بدا واعظًا محنَّكًا ذاكرا نصح الله لنا على العفو والتَّسامح بآيات محكماتٍ، ثمَّ ذاكرا الآية التى تسمح للقاتل وأهله بدفع الديَّة، وحق أهل القتيل فى قبولها، ولم يكتف بذكر الآيات المحكمات

فقط، بل وسرد بعض القصص والروايات التى حدثت بزمن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعا، ثم عرض عليهم أن يمنحهم حق تحديد التَّعويض الذى يرونه مناسبًا لقيمة ابنهم لديهم، بيد أن المفاوضات بدت مُحبطة عندما بدأ الأب المكلوم يتساءل وكأنه يحدث نفسه: كم من المال يكفى لتعويض موت الابن وموت الأمل معه؟ وكم من الأموال تكفى لإعادته للحياة ؟ هذا إن أمكن إعادة الأموات بالمال ، كم من المال يكفى لتعويض الجوع، والعرى، والألم لحرمان أطفال الفقراء من سعادتهم بطفولتهم؟ كم من المال يعوضكم عن حرمانكما من السعادة مدى الحياة؟ كم من المال يعوضكما السجن خلف قضبان الحزن مدى الحياة أسيادى الأفاضل؟ هل لكما أن تجيبانى ضيفيًّا أبناء الأكابر الكرام؟

لم يكن أمام الزائرين سوى النهوض والانصراف بعد رفض الفقراء أموالهم ثمنًا وتعويضا عن قتل ابنهم وقتل آمالهم معه.

شهادة الزور

لم يكن هناك بدٌّ من استعمال شهود الزُّور بعد فشل الحلول السلمية والمساعى الدبلوماسية الحميدة لدفع ثمنا لروح الشاب التى أزهقت بتهور شاب آخر، لكن هناك من يرى أن هناك فروقا كثيرة بين إنسانٍ وآخر، وبالتالى بين هذا الشاب وذاك، هناك العديدون ممن لم يفهموا أو يتفهموا سر الحياة التى لم يحاول أحد من العلماء أو الحكماء أو الفلاسفة إيجاده. هنا قام المختصون بالمكتب والمعيَّنون لمثل هذه الحالات بالبحث عمن يبيعون ضمائرهم من زملاء القتيل الذين شهدوا بأنه قبل موته مباشرة أخبرهم بيأسه من الحياة، وبأنه يخشى خ ذلان أبويه بعدم التمكن من إنهاء دراسته بالنجاح ذلك العام وحصوله على شهادته التى ينتظرانها على أحر من الجمر ؛ لذا فهو لا يرى حلا للأمر سوى قتل نفسه ليتخلص من عذابه وهو يرى أبيه مريضًا طريحًا للفراش عاجزًا، وأمه التى أنهكها البحث عن عمل لجلب بعض المال، وحزنه حين يرى أخوته يتضورون جوعا ويعانون برد الشتاء القارس، ثمَّ أضاف الشاهدان أنه انصرف بعد أن حاولا تهدأته بأن الفرج أصبح قريبًا، وأنَّه قد صبر الكثير ولم يتبق سوى عدة أشهر قليلة ينهى فيها دراسته ويعمل بجد واجتهاد كى يعوض أسرته خيرًا عن جوعهم وبؤسهم وعذابهم وشقائهم، غير أنه تركهم دون أن يلقى السَّلام وشق طريقه نحو الشارع وألقى بنفسه أمام أول سيارة أدركها فلقى حتفه حيث صدمته وألقته تحت عجلاتها.

بعد عدة جلسات انتهت القضية ببراءة القاتل من تهمة القتل العمد ومنح أسرة القتيل الحق فى المطالبة بالتعويض.

كان الضجيج يزداد بقاعة المحكمة بين أفراح وتهنئة ذوى القاتل لبعضهم البعض فى ناحية، وصراخ وعويل أهل القتيل بمرارة فى الناحية الأخرى، وفى الوقت الذى استدار سيادة المستشار مُتوجِّها صوب باب القاعة لمغادرتها، انطلقت أم القتيل تفرق الأجساد عن طريقها حتى أدركته. وقفت أمامه باكية داعية لله أن يُزيق قلبه الحسرة والحزن على ابنه مثلما أذاقه لهم، وإن يعجزه عن نيل حقه من قاتله كما فعل هو معهم ليُضيف ويُزيد ألماً جديداً على آلامهم وحزنا على أحزانهم.

نظر سيادته إليها مُرتجفا كأن الله قد استجاب لدعواتها بصورة فورية، أخبرها أنَّه قد فعل كل ما فى وسعه من أجل تعويضهم واسترضائهم، لكنهم أغلقوا كافة الأبواب بوجهه، ووجه والد القاتل، وبعد أن أشعل سيجاره، طمأنها بأن عرضهم ما يزال سارياً رغم براءة موكله، ووعد بأن يقنع السَّيِّد والد القاتل بأن يكون أكثر كرمًا بعرض آخر يقدمانه إليها ولزوجها، صرخت الأم المكلومة لاعنة من يشترون أرواح النَّاس بأموالهم ونفوذهم، ووعدته بأنها لن تكف عن الدعاء الذى سمعه منها فى كل صلواتها، حتى يسمعها الله وتراه قد استجاب لدعائها.

الهزيمة

كان ذلك اليوم هامًا واستثنائيًا، ولا يُنسى بحياة سيادة المستشار، فللمرة الأولى بحياته يشعر بالهزيمة رغم انتصاره ، وبضعفه رغم قوته، وبحقارته رغم رفعته، ومِنْ مَنْ؟ من مجرد امرأة مسحوقة ، فقيرة ، ضعيفة أصبحت بدعواتها أمامه امرأة عملاقة لها قوة قاهرة طاحنة مُدمرة؟ يا إله ي، كم نحن ضعفاء مهما امتلكنا من أسباب القوة والمنعة والحماية، أمَا إن ارتبط أمرنا بالخوف والرعب منك و من مجرد دعوة تصعد إلي ك فى سمائك فلا قوة ولا منعة، ولا عزّ ولا سلطان، فبين طرفة عين وانتفاضتها يغير الله من حالٍ إلى حال، لا إله إلا الله، هزمتنى بل قهرتنى وأرعبتنى امرأة بدعوة واحدة، سبحان الله، ترى كم من النَّاس قد دعوا مستعينين بالله عليك سيادة المستشار المُبجل؟ ترى هل قال الله لأحدهم: ولننصرنك ولو بعد حين؟.

قضى الرَّجل ليلته على هذا الحال مضطربا بين خوفٍ ورعب، وأملٍ ورجاء، بل ودعاءٍ أن يُمهله الله الفرصة الأخيرة ليكفِّر عن ذنوبه ومعاصيه، كانت عيناه معلقة بالسَّقف طيلة ليلته كأنَّه

ينتظر اللحظة الذى سيهوى فيها عليه ليميته، ظل يدعو الله أن يمد بعمره حتَّى الغد، الغد فقط ربَّنا، اللهم امنحنى فرصة أعود فيها إليك، لم أعد ربَّنا ذلك الشِّرير المُتكالب على الدُّنيا من أجل الثَّروة والعزّ، حتى وإن كان ذلك على رقاب البؤساء والتُّعساء، كم من ملكٍ ربَّنا بات على عرشه ثم بلحظة أصبح سجينا خلف القضبان يسمع بأذنيه هدير رعيته مطالبة بمحاكمته وإعدامه ؟ وكم من رئيسٍ كان يحرسه جيشٌ من الجند؟ وبين ليلة وضحاها، أضحى يحرسه جند يٌ واحدٌ لا يعرف القراءة والكتابة فى أحقر السجون، اللهم امنحني فرصة أخ يرة لعلك هديتني على يد هذه السَّيِّدة التى استعانت بك عليَّ، اللهم أعن ي على أقناعها بما سأعرضه عليها، علَّها ترضى، وعلَّك ترضى عني برضائها عني وعلىَّ، اللهم اغفر لي وارحمني فأنت أرحم الراحمين، اللهم أنى تائب عائد إلي رحابك فاجعلن ي من الذين عفوت عنهم واجعلن ي من الصادقين، والصديقين، والمقبولين.

التفاوض

ما أن دقت الساعة معلنة الثامنة صباحا حتى أمسك السَّيِّد المستشار بهاتفه آمرا معاونه الذى فشل فى إقناع أسرة القتيل أن يتصل بسائقه وأن يكونا فى انتظاره أما م فيلته فورا . جاءته زوجته حاملةً فنجان قهوته الذى فضَّلت حمله إليه بدلا عن الخادمة كى تطمئن عليه إذ أشعرها استيقاظه مُبكرا بالقلق، وضعت الفنجان على منضدة الشَّاى الموضوعة أمام كرسيه بغرفة نومه، اقتربت تربت على كتفه سائلةً عن أسباب استيقاظه مُبكِّرا، إنه لم يعتد ذلك منذ سنين، ظلَّ صامتا، عيناه زائغتان، يبدو سارحا بعالمٍ آخر ليس عالمنا، ذهبت لتعط ي أوامرها للخادمة لتجهيز حمام سيِّدها، عادت لحجرتها وانتزعت بدلة زرقاء من خزانة ملابسه وقبل أن تصل للباب حتى تضعها بالحمام، طلب منها أن تضع البدلة السَّوداء ؛ وضعتها وعادت مسرعة لتكرر رجا ءها أن يطمئنها، تركها خلفه واتجه للحمام، عاد بعد قليل ليجد معاونه بانتظاره بغرفة الصَّالون، وقبل أن يغادر، ألحت عليه زوجته بدموعها أن يطمئنها، طلب منها أن تدعو الله له بالتوفيق ثم انصرف بعد أن سبقه معاونه، ما أن ظهرا يغادران باب الفيلا هرع السَّائق مُغادرا للسَّيارة مُتجها نحو بابها الخلفي الذى فتحه وانحنى أمامه بعد أن تأكد أن سيِّده قد

استوى بالمكان الذى اعتاد الجلوس عليه مُستريحا، عاد السائق إلى مقعده، انطلق بعد أن أخبره معاون السَّيِّد المستشار عن المكان المزمع الذِهاب إليه، وعندما أدركوه غادر المعاون السَّيارة مُتجها إلى باب أسرة القتيل، وعندما فُتح وفوجئت الأم بوجود نفس الرَّجل الذى باءت جميع محاولاته لإقناعهم بعروضٍ مالية كتعويض عن مقتل ابنهم بالفشل، باغتته قائلة:

ـ أنت تاني؟

ـ صباح الخير سيِّدتي.

ـ أنا مش سيِّدتك يا خويا، أنا واحدة من الغلابة والمساكين اللى انتوا بتشتروا ولادهم وأرواحهم بفلوسكم.

ـ صلِّ على النبي يا هانم وسلِّمي أمرك لله ، وإن شاء الله سيادة المستشار حضر بنفسه لتعزيتكم ومواساتكم.

ـ بلا تعزية بلا مواساة يا خويا، قوله ماحدش عايز مواساته وربنا على المفتري.

هنا أتى صوت الأب المكلوم المشلول من على سريره مؤنبا زوجته أن تتعامل هكذا مع زائريهم مهما كان ذنبهم، ثمَّ وجَّه حديثه للرَّجل أن يتفضلا، استدعى ابنه عبد الرحمن الذ ي كانوا ينادونه عبده حتى يعاونه فى الجلوس مُضَّجعا فوق سريره.

ألقى السَّيِّد المستشار بالسلام على الرجل ماسحاً على رأسه برفق حيث كان الرجل لا يستطيع تحريك يده، جلس إلى جواره

مُعزيا ومُواسيا، سائلا المولى أن يلهمهم الصبر والسلوان، وأن يبارك لهم فى عبده، هنا بكى الرجل وقال لزائره ومواسيه:

- هايبارك فيه ازاى سعادة الباشا، وهو كان يأمل الالتحاق بكلية الهندسية تحقيقا لأمل أخيه أشرف الذى قتلتموه، وقتلتم معه أملنا، ولم تكتفوا بذلك وحسب، بل أضعتم حقه وحقنا فى الانتقام من القاتل. عبده دخل امتحان الثانوية بعد مقتل أخيه بشهور ونتيجة لحزنه وتشتت زهنه، فشل فى الحصول على المجموع الذى يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة، وفشل بذلك فى تحقيق أمنية أخيه المرحوم أشرف الله يرحمه ويحسن إليه، فين الخير بقى يا بيه اللى بتقول عليه؟

أخرج المستشار هاتفه المحمول وبعد عدة ضغطات على أزراره رفعه نحو أذنه وبعد ثوان قال:

- صباح الخير معال ي الدكتور، أرجوك سجل هذا الاسم أمام معاليك: عبد الرحمن عبد القادر متولى ... تمام دكتور، من فضلك أرجو تسجيله بكلية الهندسة بجامعتكم الموقرة، كما أرجو إرسال أحد موظفيكم لمكتب ي بعد صلاة الظهر مباشرة لإعطائه شيكاً بمصاريف دراسته وكلِّ ما يتعلق بها من مصاريف الباص والكورسات وكل ما يلزم ... خالص شكر ي وتحيتي معال ي الدكتور، فى أمان الله وحفظه.

كانت المرة الأولى التى ابتسم فيها عبده وأبوه منذ مقتل أخيه، غير أن الأم بدت مُتحفظة فى إبداء مشاعرها ثم قالت موجهة حديثها للمستشار:

ـ طيب يا خويا والأعمار بيد الله يعنى ... لو حصل لا قدَّر الله مش عارفة أيه، مين هايدفع للواد المصاريف؟ وهايكمل دراسته إزاي بقى بعدها ، ولا هايبقى ز ي اللى رقصت على السلم ولموأخذة؟ ويا دوب يبقى معاه الثانوية العامة بلا خيبة.

مرة أخرى رفع السيد المستشار هاتفه صوب أذنه قائلا:

ـ طمنى معالى الدكتور ... تم ... طب عظيم جدا بارك الله فيكم ، وإذاً فأنا فى انتظار موظفكم لاستلام الشيك، وبالمناسبة معال ي الدكتور، أرجو إرسال خطاب منكم بكامل مصاريف عبده منذ التحاقه بالجامعة وحتَّى تخرجه وحصوله على شهادته فى الهندسة ... نعم نعم معاليك مصاريف الخمس سنوات شاملة كل ما سيحتاجه بدراسة طيلة الخمس سنوات الدراسية ... أكرر الشُّكر معالي الدكتور، فى أمان الله ورعايته.

أغلق المستشار هاتفه وسأل الأم: مبسوطة يا ست ي؟ اِطمنتي؟ هنا بكى الجميع عدا المستشار الذى كان الوحيد فيهم مبتسما، ربما لأن الله قد أجرى الأمور بما لم يكن فى حسبانة، وبما لم يكن يتوقع يسره أبدا إذ نجح فى إقناع الأسرة بقبول تعويضٍ بصورة إنسانية لا توح ي بأنه قد اشتراهم بأمواله ثمنا لحياة اِبنهم المرحوم أشرف، وربما ابتسم سعادة إذ زاد يقينه أن الأم ستتراجع عن دعوتها لله عليه بالانتقام منه، بل ورُبَّما كشفت رأسها دون حياءٍ أمامه، ودعت له الله أن يطيل فى عمره وأن يوفقه فى عمله، بل وأن يزيد رزقه وفعله للخير، وأن يبارك له فى أولاده، مسح الأب دموعه التى سقطت بغزارة وعلا صوت بكائه ونهنهته، وبعد أن جفت دموعه خاطب زوجته أم أشرف بصوتٍ متهدجٍ قائلا:

ـ قومى يا وليه روحى لحبلص بتاع الفول خليه يعملنا كام سندوتش فول وطعمية بالسلطة، قوليله يزوِّد الطحينه، خلينا ناكل عيش وملح مع الرَّاجل الطيب الكريم ده.

ضحك المستشار ومعاونه، بيد أن ضحكهما كان بتحفظ شديد، وعندما نهضت الأم التى لم تكن تعلم من أين ستحصل على النقود التى ستدفعها لحبلص مقابل هذه الوليمة الفاخرة، قررت فى داخلها المرور على ست الحاجة زينب لاقتراض بعض المال منها، وعندما وقفت ربت المستشار على كتفها بحنان وأنحنى ليقبل رأسها قائلا:

ـ ما تتعبيش نفسك يا ست أمينة، انتظرى دقائق ، حالاً سيعود سائقنا ومعه وجبة الأفطار، فقد كنت أكثر حرصاً من أخى أبو أشرف على تناول العيش والملح مع كم، لكنك تستطيعين إعداد كوب من الشَّاي لي حيث إنني لم أنم منذ أمس، وأظن أننى بحاجة إلى الاستفاقة.

ـ حاضر يا سعادة البيه، والله باين على حضرتك إنسان محترم جدا، سامحنى لو كنت دعيت عليك وانا حزنانه على ابننا، وأكيد حضرتك مقدَّر قيمة الضَّنا اللى جوعنا وبردنا ، واستلفنا وانحرمنا من كل متع الحياة عشان بس نشوفه مهندس.

سارع أبو أشرف بنهرها وأمرها بالكف عن الكلام الذى لا فائدة من ورائه فأجابته أمينة قائلة:

ـ حاضر ياخويا هاسكت، معلش يا سعادة البيه، سامحنى يا خويا أصل أنا متلخبطة، مش عارفة أفرح ولا أحزن، أضحك ولا أبكى،

بس وحياة ولادك يا سعادة البيه بعد كده ما تظلم حد فى قضية، وما تقول غير الحق ولو على رقابتك، النَّاس غلابة يا باشا ومش ناقصين، كفايه عليهم الفقر والبؤس والمرض وبتوع الدوا وبلاويهم، وموظفين الحكومة وكأبتهم وتعطيلهم لمصالح مخاليق ربنا؛ الله يوقف حالهم اكتر ماهو واقف ، قال ومش عاجباهم مراتباتهم وبيطالبوا بزيادة الأجور، هما بيعملوا حاجة أصلا عشان ياخدوا عليها أجر؟ طب وغلاوتك يا بيه أنا روحت أعمل بطاقة التموين اللى بيعايرونا عليها دي، تصدق بالله إني روحت مكتب التموين ولا خمسين مرة، وكل مرة أقف فى طابور طوله اتنين كيلو، ويادوب أوصل الشباك يقولى البيه اللى واقف خلف القضبان كأنه مسجون روحي صوري الورقة دي، أصورها وارجعله تانى يوم يقولى روحي صوري دى كمان، وحياتك يا بيه وقعت من طولى أبكي وادعي عليه وعلى الحكومة لامؤاخذه، هى ليه يا بيه الحكومة ما بتحطش فى كل مكتب ماكينة تصوير؟ واللى عايز صورة من الموظفين تبقى عنده الماكنة يصور عليها، ليه يا بيه الناس بقت تتعب بعضها؟ همَّ الغلابة يا بيه مش كفاية عليهم التجار وجبروتهم واستغلالهم للفقرا والمساكين، طب احلفلك بأيه أن منطقتنا بكاملها ما دخلتها اللحمة من يوم ما بقى الكيلو بمية وعشرين جنيه ويمكن اكتر.

- حاضر يا ست أمينة روح ي بس أعملى الشَّا ي وهاتيه ، وهاسمعك خبر تاني هايفرَّحك أوي.

سبحان مغير الأحوال

عادت أمينة مُبتسمة، حاملة بين يديها لصينية استعارتها من جارتها صفية لتحمل عليها أكواب الشَّاي، وضعتها على خوان بدا قديما مُتهالكا، بيد انه كان بالكاد يؤدى الغرض، وما أن شكرها سيادة المستشار بعد أن ناولته كوبه قائلا:

ـ تسلم إيدك ست أمينة ... ما أن رشف رشفة خفيفة كأنه يتذوق الشَّاي حتى انكمش منخاره وانقبضت شفتاه من حلاوته التي بدت وكأن أمينة قد صبت في الشَّاي نصف ما لديها من خزين السُّكر ببيتها، أعاد المستشار الكوب إلى الخوان مُكرِّرا شكره لأمينة التى قالت آسفة:

ـ الشَّاي شكله مش عاجبك يا باشا، وشكل سكَّره قليل.

ـ أبدا يا هانم بالعكس ده سكره زيادة أو ي، أنا بعيد عنك وعن السَّامعين عندى السُّكر، نسيت أقولك ما تحطيش سكر خالص والغلطة غلطتي، إنما الشاي جميل جدا تسلم إيدك.

ـ غلطتك إيه يا بيه؟ أنا اللى كان واجب عليا اسألك ؛ يا نادمتي، ثواني وهاجيبلك غيره من غير سگَّر خالص.

ـ لأ خلاص ست أمينة خليه بعد الفطار بقى أحسن.

ـ طب إيه الخبر الجميل التانى اللى قلت هاتسمعونى يا باشا؟

مرة أخرى رفع السَّيِّد المستشار هاتفه صوب أذنه قائلا:

ـ صباح الخير باشمهندس أيمن ... تعرف أن لى أرضاً بمساحة خمسة آلاف متر بالقاهرة الجديدة ، كنت حدثتك بشأن تشييد قصرٍ لى بها أقضى به حياتى عند توقفى عن العمل ... ومنذ ليلة أمس قررت اختيار مشروع ستكون أقامتى به أفضل وأبقى ... لأ ، لأ ... قررت أن أبنيها مسجدًا ، وبيتًا لليتامى، وجمعية خيرية تعين الأرامل والمطلقات، والعجزة والعجائز والمساكين، وأقيم بها أيضا مشفى خيرى لعلاج غير القادرين ... نعم نعم أعلم أنك قد توقفت عن العمل منذ سنين ... كل ما أريده منك الاستعانة بخبراتك فى إعداد التصميمات والمواصفات وطرح المناقصات ثم الأشراف العام على طاقم المهندسين الذين ستختارهم بنفسك لمعاونتك فى عملية التشييد ومتابعة سير الأعمال للتأكد من مطابقتها للمواصفات ... سوف أوفر لك سيارة بسائقها وكل ما تحتاجه فى سبيل إتمام أملى ... لو عرفت القصة التي دفعتني لأن أحلم بذلك سوف لا تتوانى عن معاونتي ... دعك من هذا الآن، سأنتظرك اليوم بمكتبى بعد صلاة العشاء لنناقش الأمر . مع السلامة سيادتك.

عودة الأمل

نظرت أمينة مشدوهة، مثلها مثل كلِّ السَّامعين لحوار سعادة المستشار بما فيهم معاونه. قالتَ موجهة حديثها للباشا كما كانت تسميه:

ـ سبحان الله يا باشا، سبحان الله العظيم، قبل دقائق أُشهد الله أنك كنت أبغض الناس إلى قلبى، لم أكن أدعو إلى الله بصلواتي إلا بالرحمة لابن ي أشرف ، ثم أتبعه بالدعاء عليك، كانت كراهيتى إليك تفوق كلَّ الكراهية التى يحملها النَّاس بعضهم لبعض، كنت أعتبرك قاتل ابن ي الذ ي كان على وشك أن يكون مهندسا أزهو به وأفتخر، وأحمد الله أن أعانن ي على تعليمه حتَّى كاد أن يصبح مهندسًا كأبناء الأغنياء، ورغم يقيني بانك لم تكن قاتله، لكنكَ كنت من سعى إلى تبرئة قاتله بكافة الطرق المشروعة وغيرها، واليوم أراك أحبَّ النَّاس إلى قلبي، ألحقت ابني عبده بكلية خاصة باه ظة التَّكاليف، وتحملت كافة ما يلزم ه وحتَّى تخرُّجه، وإن كنت قد قتلت فينا أملاً قديماً، فاليوم أحييت لنا أملاً كان قد مات هو الآخر فى أن يكون ابني عبده مهندسًا، سبحان الله، سبحان مغيير القلوب والأحوال، لا أكاد أصدق ما أسمع وما أر ي.

ـ الشُّكر لك ست أمينة، أنت من له الفضل فى ذلك كلِّه، كأن الله قد سيَّر كل ما حدث حتى تكون هدايت ي على يديكِ

الطَّاهرتين الشَّريفتين ، أشكرك جداً، جزاك الله عني كل خيراً ورحم ابننا أشرف رحمة واسعة فله أيضاً الفضل في هدايتي.

ـ إزاى بقى يا باشا، أنا واحدة زى ملايين البشر مالناش لازمة فى الدنيا، وشكلنا ربنا خلقنا أنا وأمثال ي لنتعذب على ذنوب ارتكبها غيرنا بالماضى السحيق، أو بحيواتنا السابقة كما يقولون، أصل انا يا باشا سمعت فى التِّلفزيون بتاع جارتنا الحاجة أم محمد إن فيه ناس بتحضر عفاريت وأرواح، قالوا إن احنا بعد ما بنموت روحنا بترجع تان ي فى أطفال بتتولد من جديد عشان نعانى بذنوب عملناها قبل كده، ألَّا الكلام ده صحيح يا باشا؟ أنا مش عارفة ليه كل كام سنة يطلعلنا فلحوس فى التَّلفزيون يلخبطنا ويغير لنا كل اللى احنا كنا بنسمعه وفاهمينه وبنعمل بيه طول عمرنا، مرة يوعدونا بجنة للطَّيبين، ونار للشِّريرين والفاسدين، وفجأة يطلعلك خلبوص ماعرفش منين، يقولك لا فيه جنة ولا نار، لأ والمصيبة اليومين دول بقى فيه ناس بتعترف علن ي وعينى عينك وقدام النَّاس إنهم اللى ما يتسموا مُلحدين، وما بيعترفوش بوجود ربنا استغفر الله العظيم، طب ده انا من يوم ما شفتك فى المحكمة وانا بادعى عليك تروح النار، قال مافيش نار قال.

هنا صرخ أبو أشرف فى وجه زوجته أمينة وقال لها مُحذرا وقد أغضبه كثرة كلامها مع معالي الباشا :

ـ أخرصي يا ولية لأقوم أقطع لسانك اللى زي المضرب ده.

ـ يا ريت ياخويا بس المهم تقوم وتتحرك، ربنا يشفيك يابو أشرف ويطول عمرك لحد ما نشوف عبده مهندس كبير.

ضحك الباشا وقال موجها حديثة لأمينة:

ـ تعرفى ست أمينة؟ إنّى ما نمتش من امبارح بسببك ؟

ـ ليه ياخويا يقطعني؟ أستغفر الله العظيم.

ـ كانت دعوتك لله بالانتقام منى قد أفاقتنى وذكَّرتنى بالعديد من الذّنوب التى اقترفتها بمهنتى التى كنت مُضطرا فيها للدِّفاع باستماتة وبكل الطرق المشروعة والغير مشروعة، المُحللة والمُحرمة، وكان ذلك ضرورياً للغاية لتحقيق طموحي العظيم بأن أكون مح اميا مرموقا يشار إليه بالبنان، وكذلك وعلى الأقل لكى أبقى على قيد الحياة، ثم غرتن ي نجاحاتي فتحولت إلى غرورٍ وكبرٍ، بل وسعادة عندما أنجح فى تضليل العدالة، لعنة الله على الشَّيطان وعلى من يُضلَّهم، عندما دعوتِ عليَّ أن أذق فى ابنى ما ذقتيه بقتل ابنك، ورغم أنّى ليس لى أبناء ذكور، غير أن دعوتك قد هزت كيانى، من أخمص قدمى وحتَّى قمة رأسى، شعرت وكأنَّنى مُقبلٌ على كارثة قريبة لا أدر ي ما هى، شعرت أن الأرض تتزلزل تحت أقدامي، وأنني على وشك السُّقوط، وعندما فشلت مفاوضات تعويضكم، شعرت بقيمة الشَّرف والإنسانية، لم أنم أمس، ظللت أفكر فى وسيلةٍ أسترضيكم بها، ولهذا كانت زيارتكم أول ما نويت وقررت عمله صباح اليوم، صدقين ي لم أكن أعلم أن ما دار بيننا الآن كان سيحدث، لم أكن حتى واثقًا أنكم ستسمحون لى بشرف الجلوس على أثاثكم الذى أراه متهالكا يئن كإنسان عجوز هدَّه ما كان يحمله من بلاوى وبلايا منذ سنين، مُفضلين أن تعيشوا هكذا رغم ما عرض عليكم من تعويضات لقتل ابنكم الحبيب، ويبدو أن الله قد رضى عنِّ ي،

وقد أعانني بإدارة حوارنا بالصورة التى ارتضاها حتى رضينا جميعا والحمد لله على نعمة هدايتنا، أما الآن فلم يتبق لى إلا طلبًا واحدًا منكم جميعا إن سمحتم لى.

ـ أتفضل حبيبى، وربنا وربنا، وغلاوة رسول الله عندنا ، لو طلبت عينى لاديهالك وانا راضية.

ـ سلمت عينك ست أمينة، كل ما أرجوه منكم جميعا هو مسامحتكم لي، ودعواتكم ل ي بالهداية والعفو عن ي، وأعدكم بشراء شقة مناسبة لكم بجوار المسجد المُزمع إنشائه حتى نكون دائما قريبين، وحتى أتمكن من رعايتكم ومباشرة شئونكم، فقد قررت من اليوم ألا أقبل سوى القضايا الصَّادقة، بل وسأترافع عن المظلومين بكلِّ ما أملك، وأعد أن أرس ي قواعدًا طيبة لمن سيدير مكتبى من بعد ي، سأهب باقي حياتي لله، قائمًا، راكعًا، ساجدًا ببيته الذى سأبدأ بتشيده فورًا، علَّ الله يعتبره تكفيرا عن ذنوبي وعن ما ارتكبته من معاصيٍ، إنَّ الله يغفر الذنوب جميعا، وإنه هو العفو الغفور الكريم،

هنا سمعوا صوت طرقات على الباب فنهض عبده الذى بدا مُترنحا، وجد السَّائق يمد يده ببعض الأكياس وقبل أن ينصرف دعاه السَّيِّد المستشار بالدخول لتناول طعام الإفطار معهم.

قبل أن ينصرف الباشا وبعد أن تلقى سيلا من عبارات الشكر والدعوات بدوام الودِّ والمعرف سألته السيدة أمينة قائلة:

ـ ممكن طلب أخير يا سعادة البيه؟ ... أنا بس كنت عايزة اطلب من حضرتك لما تبدأوا فى مباني المسجد بإذن الله تبقى

تبنيلي نصبة صغيَّرة أعمل عليها شاي وسحلب لحضرات المهندسين والصنايعية والعمال وغيرهم ،وهاديهالهم بالسعر اللى حضرتك هاتحدده بنفسك؛ حكم أنا يا باشا من الناس اللى بتحارب جشع التجار واستغلالهم جتهم مصيبة.

ـ تعرفى ست أمينة أن لكِ أفكار هايلة، يا بخت عم أبو عبده بيكى، أعتبرى يا ستي أن طلبك اتنفذ، حاضر مين عيني.

هنا شب أبو عبده برقبته قائلا للباشا:

ـ بختي أيه يا سعادة الباشا، سيادتك كده هاتخليها تتنطط عليا وتبيع وتشترى فيا، مع ألف سلامة يا خويا.

الحبُّ فى العمل

مرَّ عامٌ، كان فيه العمل يجر ي على قدمٍ وساقٍ فى بناء مسجد التوبة ومُلحقاته الخيرية، كان الجميع يعملون فيه بحبٍّ شديدٍ وإخلاص، وما أجمل الحُبَّ والإخلاص فى العمل، كأن الحُبَّ يبعث الرُّوح فى الحجارة ، والطوب، والرَّمل، والزَّلط، والأسمنت؛ فأنتج بناءً روحانيَّاً، يمنحك راحةً وهدوءً حين تنظر إليه كأنك تُخاطبه ويُخاطبك، تشعر به ويشعر بك، تتمنى له البقاء فيتمنى لك الخير والسَّعادة، ما أجمل أن تدخل مبنىً تشعر أنَّك تلقى الله فيه، تشعر برحماته ونفحاته، بل تشعر أنَّك قد دخلت الجنة دون حسابٍ ودون خوفٍ أو رهبة، هنا وأنت تبن ي مع إخوانك فى المسجد، تشعر أنَّك تُنجب ابنا أو بنتا ، لذا فأنت تتفانى فى إظهارهما بأبهى وأجمل وأسمى صورة.

لقد أحسن السَّيِّد المستشار حين أوكل مسئولية الإشراف إلى صديقه المهندس أيمن جلال، وهو رجلٌ، دينٌ، بشوشٌ، طيبٌ، ومع هذا فهو فى عمله حازمٌ وجادٌ كأنه جنديٌّ يتحلى بصفات الجندية وضوابطها، لا يتنازل عن إتقان الأعمال وإنهائها ف ي

الوقت المُحدد وبالصُّورة الت ي تتفق مع المواصفات ويحوز مظهرها ومتانتها على رضائه وقناعته الكاملة، كان يتمتع بحسٍ إداري نادرًا أن تراه فى الكثيرين منا، يستطيع أن يقوم بالعديد من الأعمال فى نفس الوقت بلا أيّ اضطرابٍ أو تعارضٍ بين الأعمال وبعضها، كان يؤمن أن البناء فى عدة مبانٍ لا يتطلب سوى المزيد من المال والعُمال والمعدات، وما دامت جميعها مُتوفرة والحمد لله، فلماذا ينتظر أن ينه ي مبنىً ليبدأ فى آخر؟ لذا فقد أسند تشيد المسجد لشركة تسمح أمكاناتها لبناء وتشييد مثل هذا المشروع الكبير، ذات المواصفات الخاصة بما يحتوية من طرازات إسلامية خارجية وداخلية، وكذلك استعان بمقاولين آخرين لبناء وإنشاء الأبنية المُلحقة من دار الأيتام، والجمعية الخيرية، والعيادات الصحية، وهكذا صار العمل بجدٍ واجتهادٍ وتنافسٍ محمود، جعل جميع المقاولين يتبارون فى إنتاج أعمالهم بأحسن صورة، ويتسابقون فى إرضاء المهندس أيمن والحصول على قناعتة كان المهندس أيمن قد جعل العمال يشعرون أنهم مهندسون؛ فتباروا فى إظهار دقة أعمالهم وسرعتها.

كان أيمن قد تجاوز الخمسين من عمره، بشوش الوجه، جادًا فى نظراته، حاسمًا فى تعاملاته، يستعمل دائمًا كلمات الشكر والتقدير والمجاملة مع المقاولين وعمالهم، كما كان خفيف الظِّلِ، يلق ي النكات المضحكة أحيانا، ويتندر على بعض العمال مُتعمدا حتَّى يُضحك باقى العمال، مما جعله محبوبا لدى جميع العاملين بالمشروع، كان نحيفا لكنه قويٌّ نشيطٌ، وكان يصاحبه ويعاونه فى عمله بعض المهندسين الآخرين وعلى رأسهم المهندس أسعد حنفى الذى كان أكبر المهندسين سنًا بالمشروع، كان يكبر المهندس أيمن بعامين، كان مهندسا مُتمكنا، بارعًا، خلَّاقًا، خلوقًا، طيِّبا، ودودًا، كما كان يبدو صامتا دائما، لا يتحدث إلّا للضرورة القصوى، كأنَّه قد واجه صعوباتٍ أو أزماتٍ بحياته جعلته يبدو

مُنعزلا، مُكتئبا، مُنكسرا، ولهذا كان المهندس أيمن دائمًا ما يصحبه معه بجولاته الموقعية مُستفيدا من خبراته ومهاراته، وقد اختاره المهندس أيمن وتحايل وألح عليه كثيرا أن يشاركه الإشراف على هذا العمل الجليل، ولما كان المهندس أسعد معارضًا للفكرة من أساسها، إذ أنه كان قد قرر إغلاق مكتبه الهندسي حتَّى يتفرغ للقضايا العديدة التى رفعتها زوجته ضده بعد أن انفصل عنها، وبعد أن عانى من الشُّعور بالإحباط والاكتئاب بعد أن هجره أبناءه أحمد وأدهم، اللذان كانا أحب الناس إليه، بل إنَّهما كانا الحُبَّ الوحيد بحياته، وكانت الضربة الموجعة والقاتلة له حين انتقلت طليقته التى هى أمهما إلى سكنٍ آخر أحاطته بسرية بالغه، ثم طلبت من أحمد الذى كان يبلغ الخامسة عشر عاما، وأدهم الذى يبلغ الثانية عشر، أن يغيِّرا أرقام هواتفهما، وبذلك انحرم أسعد من مقابلتهما أو التواصل معهما تماما، بدأ يفقد تركيزه فى عمله جراء الحروب التى شنتها عليه من أجل تشويه سمعته وذمَّته، لم يكن أمام أسعد سوى أن يُغلق باب مكتبه وللأبد، بل ويغادر المدينة التى كان يعمل بها ليستقر ويقيم إقامة دائمة بالقاهرة وحيدا مُنعزلا بشقته، انقطعت علاقاته بإصدقائه ومحبيه من تلامذته، لم يكن هناك من يرعاه معيشيا سوى أخته الكبرى التى كانت تمرُّ عليه كل عدة أيام، وماديا سوى أخته التى كانت تصغره بعشرة أعوام. ما أجمل أن يكون لك أختا حنونا تشعرك أنك ابنها، ترعاك بعطفٍ وكرمٍ. وما أجمل من أن تشعرك أن كل ما تفعله من أجلك ما هو إلا رد مستحق لك عن مواقف جليلة وقفتها معها بمجتمع يظلم الأنثى ويجحفها حقها وإنسانيتها. كان أسعد رجلا طيباً كريماً ودوداً لا يرفض طلبا لصاحب حاجة لديه، ثم تبدلت أحواله حتى أصبح محل عطف وشفقة الناس فقرر الانعزال والحياة وحيدا بعيدا عن أعين المشفقين، صارت حياته على هذا الحال عدة سنوات حاول فيها المهندس أيمن كثيرا إخراجه من حالته هذه عدة مرات، وفى كل

مرة كان يبوء بالفشل، وعندما عرض عليه المستشار مهمة الإشراف على ذلك المسجد، وجدها فرصة طيبة لتحقيق عدة أهداف كان أهمها فى يقينه أن يلحق أسعد معه بالعمل بهذا المشروع علَّ العمل ينسيه همومه ويخرجه من عزلته، ويهوِّن عليه مصائبه، ثم إن العمل أيضا سيمكِّنه من تقاضي راتب شهري رائع يعينه على تسديد مديونياته وتحس بِن حالته المعيشية، أما الأهم من كل ذلك فكانت رغبة أيمن بالاستعانة بمهارة وإبداع المهندس أسعد، لم ييأس أيمن بعد رفض أسعد لعرضه عدة مرات، فعرض عليه أن يكون هو وأعنى أسعد، مديرًا للمشروع وأن يعمل أيمن تحت رئاسته، وهنا فقط شعر أسعد بالخجل وقبل العمل مُشترطا أن يكون أيمن هو المدير المسئول عن كل ما يتعلق بالمشروع. وهكذا صارت الأمور على خير وجه حتى صارا نموذجا يحتذى به فى التفاني والإخلاص والحب فى العمل.

الشرف

قبل انتهاء العام الثاني على بدء تنفيذ المشروع، كان العمل قد اقترب كثيرًا من نهايته، لم يعد متبقًّيا لإنهاء تشييد المشروع ومغادرة القلة المتبقية من عمالتة سوى بعض أعمال الجل ي للرخام والنَّظافة، وإتمام اللمسات الأخيرة، كان المستشار فى هذه الأثناء قد أوكل أمر إدارة مكتبه إلى أحد أصدقائه القدامى من المحامين، كان هو الصديق الوحيد الذى يصلح للسَّير على النهج الذى انتهجه المستشار التائب، والذى يقضى بالتَّرافع مجانا عن قضايا المظلومين، والغير قادرين على الإنفاق على قضاياهم، وألا يُبرّؤا إلا الأبرياء من الناس بلا تحايل على القانون أو تضليل للعدالة، وحذر من استعمال الوسائل الغير شريفة لتبرئة تُجار الممنوعات والفاسدين والمجرمين بكافة صور الإجرام، كان المحامي أحمد حافظ رجلًا بسيطا فقيرا، التحق بعد تخرجه للعمل بإدارة الشئون القانونية بإحدى الوزارات الحكومية، ونظرا لإيمانه والتزامه وحسن أخلاقه، كان محل ثقة لزملائه وحاز على رضاء رؤسائه بالعمل، بعد سنوات قليلة من العمل الدؤوب والتفاني والإخلاص بعمله، مات مدير الشُّئون القانونية فتبوأ أحمد حافظ رئاسة المكتب خلفًا له رغم صغر سنِّه، كان أحمد سعيدًا بالتَّرقية التى لم يكن يحلم بها، فإذا بها تأتيه وبأسرع مما كان يتمنى بكثير، فى إحدى الأيام استدعاه السَّيِّد وكيل الوزارة، وبعد أن أثنى عليه وعلى إخلاصة وتفانيه فى كل ما يحقق ويراعي صالح وزارتهم، ناوله مُسودة عقد لتوريد بعض المهام

اللازمة والضرورية لحاجة العمل إليها، تناولها أحمد وانطلق صوب مكتبه لمراجعتها وتنقيحها، وما أن انتهى من الإحاطة بمحتواها عاد مزعورًا لمكتب السَّيِّد وكيل الوزارة ناصحًا له باستحالة اعتماد مُسودة ذلك العقد، فقيمة الأعمال محل العقد تخالف القانون حال إسنادها لمورد شهير بالسُّوق دون إجراء مناقصة عامة، ثم إنه لا يمكن إسنادها إليه بالأمر المباشر، إذ أن قيمتها تزيد كثيرا عما هو مسموحٌ به إسناد الأعمال بالأمر المباشر طبقا لقانون المناقصات المعمول به بالوزارات والهيئات الحكومية مما سيعرضهم للمسائلة القانويه، وهذا بالتأكيد سيلحق بهم ضررًا بالغًا، طمأنه السَّيِّد الوكيل وأمره بكتابة العقد وتوقيعه مع من سيوقعون دون خوفٍ، كما طمأنه أن كل تخوفاته قد وضعت فى الحسبان، بل وتم إعداد ما سيردون به عند مساءلتهم ... إن حدث هذا، وهو أمرٌ مُستبعدٌ حدوثه تماما، كذلك طمأنه بأن هناك العديد من العقود التي تمت صياغتها بنفس الطِّريقة ولم يُسأل أحد فيها، ولم يتم التَّحقيق فى أيِّ منها، وختم حديثه بأن أحمد سينال مكافأة عظيمة جراء هذا العمل، وأمره بالإسراع فى عمل كل ما يلزم لإنهاء التعاقد قبل انتهاء مواعيد العمل الرسمية.

انطلق أحمد صوب مكتبه وعاد خلال دقائق ليسلم استقالته للسَّيِّد مدير مكتب السَّيِّد وكيل الوزارة الذى انتقل لفوره لمكتب الوكيل، وعاد ليسلم أحمد استقالته ممهورة بموافقة رئيسه.

مرَّت على أحمد أوقات عصيبة مؤلمة مصحوبة باليأس والإحباط، زاد من بلوته دائمًا لوم زوجته أنَّه قد أضاع فرصة العمر التى أتيحت له لإسعادهم، اعتبرته رجلًا وزوجا فاشلًا، رفض ما يقبله الكثيرون بوزارة اشتهر عنها الفساد والرَّشاوى فى الوقت الذي لم يُحاسب أيٌّ من الفاسدين أو المُرتشين بها

سوى القليلين منهم للغاية من الذين يتم التَّضحية بهم كلّ عدة سنواتٍ لغرضٍ لا يعلمه إلا الله ؛ وعلى أيَّة حالٍ فهم يجازون عن ذلك بعد تحصيل ثروات هائلة تكفيهم وتكف ي أسرهم لمئات السنين، ويكفيه خجلًا أنَّه الوحيد بالوزارة الذى تقاعس عن التَّضحية فى سبيل إسعادها وإسعاد أبنائه.

كان أحمد إنسانًا بسيطًا خجولا، قضى العديد من الليال ي التي جافاه النوم فيها محاولا البحث عن حلٍ يجلب منه الرزق الحلال كى يحقق لزوجته وابنائه الملبس والمأكل وباق ي الاحتياجات الضرورية من تعليمٍ وعلاج وخلافه.

كان أحيانا يشعر كأنه يخاطب الله، وأحيانا كثيرة يسأله عن سبب شقاء من يخشون غضبه وعصيانه، ومن يتمسكون بالفضيلة، فى حين تسير أمور الأشرار والمفسدين على خير وجه وبكل يسرٍ، ما أقسى أن يشعر الرجل بعجزة عن الإنفاق على زوجته بالصورة التى ترضيها رغم شكه فى إمكانية إرضائها، خاصة إن كانت لا تهتم كثيرا عن مصادر دخله مثلما تهتم بتحقيق رغباتها، أهى حقا محقة فى اتهامه بالفشل إذ رفض ما يقبله الكثيرون قبله وسوف يقبله الكثيرون من بعده ما دامت الحياة مستمرة، وما دامت الوزارات بحاجة إلى العقود وتوقيعها لتوريد مهام ربما لا تكون بحاجة إليها؟

لم يكن أما م أحمد ممن يمكنه الاستعانة به م أو اللجوء إليه م سوى صديقه القديم المحامى الذى بدأ اسمه يبزغ فى سماء القانون والمُحاماه حتى صار من أشهر مُحاميّ البلد.

فى صباح أحد الأيام أيقظته زوجته طالبة منه بعض المال حيث إنها قد قررت الذهاب لزيارة أختها بالإسكندرية لإنها بحاجة للترويح عن نفسها وعن أبنائها والعلاج من حالة الاكتئاب التى أصابهم بها، توسل إليها أن تقدر الظرف الذى يمر به و تعجزه عن تلبية طلباتها التى يرى أنها يمكن تأجيلها، فى نهاية النقاش وإذعانا لطلبها ناولها كل ما لديه من مال . لم تنس أن تلوى شفتيها امتعاضا بعد أن أحصته ووجدت أنه أقل بكثير مما كانت تتمنى وتطمع، وبعد أن دست المال فى حقيبتها أخبرته أنها ستضطر لمطالبته بتطليقها إن هى عادت بعد أسبوع ووجدته لم يحصل على عمل.

فى مساء ذلك اليوم ارتدى أحمد بدلته السوداء الوحيدة التى كان يمتلكها، غادر منزله متجها مباشرة صوب مكتب صديقة القديم متأملًا خيرًا، وقف أمام مديرة المكتب باهرة الجمال ، غضَّ بصره ونظر صوب قدميه طالبًا منها إبلاغ السيد المستشار برغبته فى مقابلته.

ـ نقوله مين يا فندم؟

ـ أحمد حافظ.

ـ أسباب الزيارة؟

ـ ليس هناك سبب سوى زيارته كصديقٍ قديم، هذا إن كانت ظروف سيادته تسمح بذلك، وإن ما كانتْ غير ذلك أطمع فى تحديده موعدًا آخر لمقابلة سيادته وأكون مُمتناً له ولحضرتكم.

ما أن دلفت السَّيِّدة مُديرة المكتب غرفة رئيسها حتى فُتح الباب سريعا ليخرج منه السيد ماجد رشدى فاتحا زراعيه عن آخرهما مُحتضنا ومُرحِّبا بصديق الدِّراسة أحمد حافظ الذى أدمعت عيناه تأثرا بترحيب صديقه الذي ما بدله أو غيَّره ثراؤه ولا غيَّرته شهرته، عاد السيد المستشار بصحبة صديقه لمكتبه حيث تحدثا عن أحوال كلٍّ منهما وقد أسفر اللقاء عن السَّماح للمحامى أحمد حافظ باحتلالٍ غرفة من غرف المكتب الكبير لإدارة أعماله وقضاياه منها وليس هذا فقط، بل وسوف يوكل إليه كلّ ما يأتيه من قضايا الطَّلاق وبعض القضايا الأخرى التى يراها لا تستحق نظره فيها، أو أن يُكتب اسمه على مذكراتها أو أن يترافع فيها وعنها، وكان يرفضها جميعاً . أما الآن فلدية الفرصة لقبولها لإرضاء عملائه ولتشغيل صديقه بنفس الوقت.

محراب التعبد

انتهى العمل بالمسجد وملحقاته على أتم وأكمل وجهٍ.

أطلق عليه السَّيّد المستشار بعد التشاور مع السادة مهندس ي المشروع اسم مسجد التوبه، بعد إنهاء العمل بالمسجد الذى أراده المستشار، لم تنتهى العلاقة بين سيادته ومهندسيه الذين حققوا حلمه، ومع أول أذان للصلاة بالمسجد تفرَّغ السيد المستشار للعبادة والتقوى تماماً بعد أن أوكل جميع أعمال مكتبه ومصالحه لصديقه المخلص الأمين السَّيّد أحمد حافظ، وبعد ان اتفق مع المهندسين أيمن جلال، وأسعد حنفى على أن يلتقيا يوميًّا لصلاة المغرب والعشاء سويًّا، إن لم يكن هناك ما يمنع من هذا أحيانا، حيث إن كلاهما مُتوقِّف عن العمل، وليس لديه أى ارتباطات أخرى، ثمَّ إن سيادته كان قد تعهد لهما بسيارة بسائقها ليسِّر لهما عملية الحضور للمسجد والعودة لمحل إقامتهما.

كانت اللقاءات رائعة فى رحاب الله بالمسجد، فهم يتناقشون أحيانا حول الأحداث الجارية التى تهم أمتنا، وأحيانا يتناقشون عما قرأوا من كتبٍ دينية وانتقادها سلبا أو إيجابا، وأحيانا أخرى عن الجماعات الدينية والجهادية، وهل حقا ما يقومون به من قتلٍ للبشر العزَّل الآمنين دون تمييز بين مؤمن منهم وكافر، هى لوجهٍ الله؟ ولنيل رضاه؟ وهل يسعد الله بالأعمال التفجيرية والانتحارية كما يزعمون؟ كان الأصدقاء فى بعض الأحيان يتحدثون عن ماضيهم، وعن تجاربهم فى الحياة والدّروس التى تعلموها

واستفادوا منها، وأحيانا أخرى يتحدثون فى بعض ما يتعلق بحياتهم ومخاوفهم، وعن الموت وسكراته، وعن القيامة ومصيرهم بأخراهم.

فى إحدى المناقشات أعرب المهندس أسعد حنفي عن تخوُّفه الذى يصل به حد الرعب أحيانا، من أن يموت وحيدًا بشقته ويبقى بها عدة أيام دون أن يدري أحدٌ بموته، ويبقى كذلك إلى أن تفوح رائحة عفونةٌ جسده المتحلل معلنة موته للجيران، فيبدأو ن فى التَّحرك متأففين من حالته وعفونته، بكوا جميعا عندما علموا بذلك وقد تألم المستشار لذلك كثيراً وأخبره أن لديه حلا يبدو رائعا، أشار عليه أن لدية كلبة لبرادور ألمانية الأصل، قد وضعت عدة كلابٍ منذ أسابيع تخطفهم زواره وضيوفه، غير أنَّ ما يزال لديهم واحدة منها احتفظت بها ابنته، وهى الأخيرة لديهم، فليأخذها للإقامة معه، وإنَّه لا يشك فى أنه سيحبها كثيرا، بل وسوف يعشقها ويشتاق إليها عند غيابه عنها أثناء لقاءاتهم، وإذا ما جاءه الموت لا قدَّر الله وبعد عمرٍ طويل ؛ فستتكفَّل هى بالإعلان عن ذلك إذ إنها لن تتوقف عن النباح والهوهوة ، بل ومن الدَّق على باب الشَّقة، وكأنها تقول للنَّاس أن هناك من يحتاج إلى معونتكم وإغاثتكم فأغيثوه حيث أعجز أنا عن إغاثته، تعالوا أيها الناس واهرعوا إليه. ولتعلم أن الكلبة لن تتوقف عن ذلك حتى يُدركها ويُدركك النَّاس.

فى اليوم التَّالي اصطحب السَّائق الكلبة للمهندس أسعد، أخبره أن سيادة المستشار سوف يعلِّمه بكيفية تربيتها وتدريبها ومُعاملتها. وضعها أشرف بغرفة خالية من الأثاث بشقته الت ي كانت طليقته قد استولت على كافة مُحتوياتها أثناء وجوده بالمدينة النائية التى كان يدير فيها مكتبه، لقد أخذت كل شيئ، لم

تترك له فيها سوى الأتربة وبعض أكياس القمامة السوداء التى وضعت بها بقايا وأطلال لعب الأطفال التى كان يشتريها لابنيه أحمد وأدهم. كان أسعد يقدم لضيفته الجديدة قبل أن يذهب لملاقاة صديقيه بالمسجد طعامًا من عظام الدَّجاج المشو ي بها بقايا من اللحم، كان السائق يناولها له عند قدومه إليه كل يومٍ، ويضع إناء به ماء إلى جوارها ، وبعد أن يمسح على ظهرها يتركها لينطلق مع سائقه فى طريقهما لصلاة المغرب والعشاء بمسجد التوبة.

لم يكن أسعد يتصور أنه سوف يحب كلبته لتلك الدرجة التي أحبها بها، هو فعلا يشعر بالاشتياق إليها أثناء جلساته التَّعبُّدية بالمسجد، يشتاق لأن يعود إليها ليداعبها وتداعبه، وربما كانت هى أيضا تبادله الحب والأشو اق، وربما بأكثر ممَّا يشعر هو من حنينٍ إليها ، إنهما بحالة عشق عجيبة، يا إله ي أهو حرامٌ فعلاً تربيةَ الكلاب رغم ما تمنحه لنا من حبٍّ وحنان ، وربما كانت أكثر أشفلقاً علينا عند تعثرنا بالحياة، فى الوقت الذى تهجر فيه الناس أحباءهم إن ساءت أحوالهم، أو فقدوا مناصبهم، أو أصبحوا غير قادرين على العطاء بسخاء؛ سبحانك ربنا العظيم.

الحبُّ والوفاء

كان أسعد، أسعد الناس بحبيبته الجديدة التى وجد فيها جليسا ووئيسًا ساعده كثيرا فى التَّغلب على شعوره بالوحدة، بل إن الضيفة الجديدة قد أضافت البهجة والمرح بحياته إذ كان كثيرا ما يداعبها وتداعبه، يشاغبها وتشاغبه، وإن عاد إليها قفزت مُتراقصة مُهللة بقدومه، ثم تصدر أنينا كأنها تعاتبه لتأخره وتركها تعاني لوعة الشوق والحنين، فى الوقت الذي كان يشعر هو فيه أن الله قد كافأه على اشتراكه فى بناء المسجد بهذه المخلوقة الجميلة اللطيفة، الحنون الوفية، لقد أضافت دارلنج معنىً جديدًا بحياته مليئ بلحُبِّ والشَّوق، فما أروع شعوره حين كانت تقفز إلى صدره عند ولوجه من باب شقته عائدا إليها كأنها تحتضنه، أو كأنها تطالبه أن يضمها بين أحضانه وذراعيه، كم كان يحزن حينما يسمع أناتها بين أذرعه وكأنها تخبره أنها كادت تموت شوقاً إليه وقلقاً عليه، ما أعجب أن ترى المشاعر الإنسانية فى أبهى صورها عند الحيوانات، فى الوقت الذى تخلى عنها الإنسان طواعية أو أنانية و كراهية فيها، كانت دارلنج حقا رائعة، وربما كان هذا ما جعل ابنة السَّيِّد المستشار تطلق عليها اسم دارلنج، وقد أخبره سيادته ان ابنته قد بكت كثيرا فى وداع كلبتها التى أحبتها للغاية، ولما وجد أسعد أن الاسم مناسبا ومتوافقا مع ضيفته الجديدة أبقى عليه ، بل وعشقه كما عشقها، لم يكن هناك ما يزعجه من وجودها غير عشقها للعق كلِّ ما يمكن لها رؤيته من جسده كقدمه ويده وملابسه، بل إنها أحيانا كانت تغافله وتقفز لتلعق وجنتيه، حتى إنَّه كان لا يشك أبدا في أنها ربما كانت تقبل شفتيه عندما تتأكد أنه يغط فى ثباتٍ عميق،

لهذا فقد فكر كثيرا لأيجاد حلٍ لهذه المعضلة، حيث قيل لنا أن الكلاب نجسة، ويفسد لعابها صلاة المصلين، وينقض وضوءهم، أخيرا وبعد نصيحة صديقه المستشار ماجد قرر أسعد استعمال سلسلة ورباط عنق جلدي فخم يليق بحبيبته الجديدة الجميلة، كان يحررها منه عند مغادرته شقته، ويقيدها إن أراد الصلاة وحين ينام، وأحيانا قليلة عن عودته إليها وبعد إجرائها مراسم استقباله الرائع الحميم، كان يمسح على ظهرها ثمَّ يربطها سامحاً لها التحرك بحرية فى حدود مترٍ أو أكثر قليلا، ويبدو أنها كانت قد تفهمت أسبابه فاستسلمت لرغبته الدِّيكاتوريَّة، ولكم نعانى بحبنا أحيانا من ديكتاتورية أحبائنا، أما أجمل أوقاتهما فكانت عندما كان يحرِّرها من قيدها بعد أن يستحم ويصلى بعض النوافل ش اكرا وحامدا لله على نعمه التى لا تعد ولا تحصى، ثم يجلس على المقعد الذى أهدته إليه أخته والذ ي كان يجلس عليه دائما عند زيارته لها، وعندما شكرها على هديتها، أهدته باقى الطاقم بطاولته التي كان يضع عليه ألبومات الصور الذى يحتفظ بها بصور ابنيه أحمد وأدهم والذى كان حين يتناولها تقفز دارلنج مُحتلة حجره، ناظرة معه إلى الصور التى ينظر إليها، وفى الوقت الذى كان يقلب فيه صفحات ألبومات الصور كانت تدير رأسها وكأنها تستطلع انطباعاته عن الصور التى ينظر إليها فكان حين يبتسم لصورة ما، يشعر أنها تبتسم، وحينما كان يعاتبهما على هجره بصورة ما، أو كان يبكى أحيانا، كان يسمع أنينها كما لو كانت تشاركه البكاء، ما أروع أن ترى أنثى تشعر بك حتى وإن كانت كلبة ، أو قطة لا يتكلمان لكنك تشعر بحبهما وعطفهما وحنانهما. وما أقسى أن تكون من أحببتها وأخلصت لها ومنحتها أقسى ما تملك من كل شيء، هى من كسرتك وأتعستك وعذبتك ما بقى لك من عمرٍ على هذه الحياة.

فلتحيا الحيوانات الأليفة، واللطيفة، الحنونة، والمخلصة،
وليسقط كلُّ خائنٍ، وناكرٍ، وجاحدٍ، وغدارٍ من بني البشر.

الأصدقاء الثلاثة

كانت الأيام تمر سعيدة هنيئة بين الأصدقاء الثلاثة، فصاحب فكرة بناء المسجد سعيد بعودته إلى رحاب الله بعمل جليل وصالح كبادرة حسن نوايا تُعبِّر عن صدق عودته تائبا إلى الله توبة نصوح، والمهندس أيمن جلال سعيد بإشرافه على هذا العمل البديع الذى أعاده إلى العمل بعد أن انقطع عنه لفترة طويلة جراء متاعب وآلام قضايا الطلاق وتوابعها، بالإضافة إلى أن سجل أعماله قد ازداد وازدان بعملٍ لم يقم به إلّا لنيل رضى الله وغفرانه، وكان أسعد، أسعد السعداء فيهم ، إذ كان على الأقل وبالإضافة إلى ما ناله مثل ما نال المهندس أيمن، فقد نال حبيبة وونيسة جديدة لا تعرف الجشع ولا الخيانة، أشعرته بالحب والوفاء والإخلاص والأمانة، ثم إنه قد أصبح أكثر اطمئنانا من أنه حين يموت لن يتحلل ويتعفن حتى يشعر الجيران بموته، وكان هذا الأمر من أهم بواعث سعادته، حيث ستقوم دارلنج بدور الإعلان عن وفاته كما يعلن الناس بريف مصر عن موتاهم باستعمال سيارة بها مكبر للصوت يجوبون فيها شوارع وأزقة قراهم، بالإضافة أيضا إلى أن دارلنج، وبعد سنوات عديدة قضاها وحيدا وبلا أيّ علاقاتٍ قد أعادت لقلبه الحياة والنبض للحُبِّ، حتى وإن كان هذا الحب لحيوانٍ بعد أن قرر ألا يمنح قلبه ومشاعره لأنثى من البشر منذ سنوات طويلة.

فى يوم جمعة وبعد انتهاء الصلاة، وككل جمعة كان يبدأ تلاقيهم فى العاشرة صباحاً ويمتد إلى ما بعد صلاة العشاء فينصرف كل منهم عائدا لبيته، أما هذا اليوم فكان غريبا عن باقى الأيام إذ

تحدث الخطيب فى خطبته عن المرأة، وكيف أن الإسلام قد كرَّمها وأكرمها أكثر من أ يِّ دينٍ آخر، حتَّى وصل الأمر إلى أن قال فى معرض حديثه: بل إن للزوجة الحق فى مطالبة زوجها بثمن إرضاعها لأطفاله، وأيضا براتبٍ لقاء خدماتها التى تقدمها إليه من إعداد للطعام وغسل لثيابه وكيها، و عن نظافة البيت وكلِّ أعمالها المنزلية، وعندما تسائل مهندس أيمن عن مدى جدية وصحة هذا، أجابه أسعد الذى كان برغم جبال أحزانه يتمتع بخفة ظل يحسد عليها:

ـ قول الحمدلله يا باشمهندس أن مولانا قد نسى أن يقول : وإن على الأزواج دفع مالٍ مقابل مضاجعة زوجاتهم وإلا كان انخرب بيتنا وبيت اللى خلفونا.

ـ انفجر ثلاثتهم ضاحكين على النكتة والنقطة الوجيهة التى أشار إليها مهندس أسعد وعندما كفكفوا دموعهم من كثرة الضحك قال المستشار:

ـ ألا تلاحظون أصدقائ ي أن الخطاب الدين ي قد تغير بالفعل بعد إزاحة الإسلاميين عن عرش الحكم بالبلاد بعد الفترة الوجيزة التى حكمونا فيها ورأينا منهم العجب وسمعنا منهم الأعجب من الفتاوى التى كانت تصب فى تدعيم حكمهم للبلاد؟.

هنا انبرى مهندس أيمن الذى كان مهموما بقضايا أمتنا وكان دائما ما يناقش الوعاظ فى أقوالهم ، مُدَّعياً أن ما يلحق الدين من ضررٍ من رجاله أكثر بكثير مما يلحق به من أعداء الدين ، سواء الملحدين منهم، أو اللادينيين واللا أدريين، أو أصحاب الدِّيانات والعقائد الأخرى. وتنهد قائلا:

ـ نعم صدقتما صديقي، إن ما قلتماه الآن كان أضعف الأسباب، أما الأسباب الحقيقية فهى تكمن فى الحروب التى يشنها الكثيرون على الإسلام عبر بعض القنوات الفضائية الشهيرة والمعروفة، بل والأدهى من ذلك هى تلك الحروب التى يشنها الكثيرون بمجهودات فردية عبر وسائل التواصل الاجتماع ي وقنوات اليوتيوب، والتى وللأسف يقوم بها بعض المسلمين الذين تخلوا عن دينهم وللأسف الشَّديد ، أن من بينهم أكثر من واحد أدعى بأنَّه ابنا لأبٍ كان سلفيا، ونشأ وتربى ببيئة سلفية للنخاع، وآخر أيضا ترك الدِين وانضم لجماعة الإلحاديين، وهو أيضا يدَّعى أنَّه كان ابنا لإمام وخطيب مسجد، بل وإنه كان يعمل مُدرسا لمادة الدِّين بأحدى مدارس دول الخليج الكبرى، بل وكان يدعو النَّاس من الدِّيانات الأخرى إلى الإسلام. وهنا لم يكن أمام الدعاة سوى الاضطرار إلى تغيير بعض ما كانوا يقولونه منذ عقود، فبدوا وسطيين غير مُخوفين ولا مُهددين ولا مُتوعدين، واتجهوا إلى التَّحدث عن الصُّورة السَّمحة من الإسلام، ولذا فربما لاحظ من هم فى عمرنا تباين شاسع بين خطاب الوعاظ منذ سبعينيات القرن الماضي وإلى عدة سنوات مضت، عما كنا نسمعه منهم فى أيامنا هذه، عملا بمقولة مُجبرٌ أخاك لا بطل.

هنا توجه السَّيِّد المستشار صوب مهندس أسعد قائلا:

ـ متى آخر مرة رأيت فيها ابنيك؟

ـ دعني صديقي أجيبك بطريقة أخرى، مرَّ على طلاقى للآن خمسة عشر عاما كاملة، مرت السنة الأولى بسلام ، كنت أراهما وألقاهما وقتما أشاء ، وأينما شاءا، وكان اللقاء يتم غالبا بعدة مقاه ي قريبة من محل سكنهم ا الذ ي انتقلا إليه مع والدتهما،

والذى كان بعيدا كثيرا عن محل إقامت ي التي كانوا يقيمون فيه معي، كنت أرسل لأمهما نفس المبلغ الذى يسمونه مصروفا و هو الذي كنت أعطيها أياه ، وكانت هى من تحدده للإنفاق عليهما، واستقرت الأمور على هذا النحو لأكثر من سنة إلى أن تلقيت اتصالا من أخيها طالباً لقائ ي للاتفاق على نفقة الأولاد وكل ما يتعلق بشأنهم، وأبلغني أنها تقترح مبلغا معينا وعلى الفور وافقته على طلبه . فى اليوم التال ي تلقيت اتصالا مباشرا منها تقترح زيادة المبلغ ووافقتها على ما اقترحته بنفسها وقررته، وحينما سألتني عن مطالب ي قلت: ليس أكثر من أن أرى ولدىَّ عند وجودى بالقاهرة التى كنت أقضى فيها شهرا، وبعيدا عنها شهرا آخر، كما طلبت منها السماح لهما أن يقيما معى مدة أسبوعين قبل امتحاناتهما الدِّراسية حتى أتمكن من معاونتهما ودعمهما نفسياً ودراسياً، وافقت بلا تردد حيث كان ذلك هو كل ما طلبت منها، فى اليوم التال ي اتصلت بي رافعة سقف مطالبها ورفعت قيمة النفقة للمرة الثالثة ووافقت، وقبل أن تختتم اتصالها ب ي كنا قد اتفقنا على عقد لقاء بين ي وبين أخيها حتى نضع اتفاقنا قيد التنفيذ بعد أن نسجله رسميا.

تم تحديد موعد اللقاء على أن يكون بمحل إقامتي، عدت للقاهرة قبل الموعد المحدد بيومين، وعندما حان يوم اللقاء وفى السَّاعة التَّاسعة صباحا، نهضت من نوم ي على صوت رنين جرس شقتي، كان الطَّارق رجلًا بدا حكوميًّاً، كان يحمل سجلًا بيده اليسرى، وورقة ناولنى أياها باليمنى، طلب مني التوقيع بالاستلام، وعندما استفسرت عما سأوقع باستلامه؟ أبلغني بأنه طلب لحضور ي أمام محكمة الأسرة بيوم محدد بالإخطار، وهنا بدأت الحرب العالمية الثالثة.

كان عليَّ بطبيعة الحال أن أوكل أمر متابعة القضية لمحامٍ، عاونني صديقٌ لي باصطحابي لمكتبه مُخبرا لى أنه رجلٌ طيبٌ خلوق يعرفه جيداً، ما أن علم السَّيِّد المحامى أن القضية تابعة لمحكمة الأسرة، قام بعرض العديد من القضايا التى يمكننا إقامتها ضدها حتى نرهقها ماديا وعصبيا ، فيصير من الأيسر ترويضها وقبولها ما نقرره نحن، وسيكون ذلك فى صالحنا بالطبع، وقبل أن يسرد لي باقى القضايا قاطعته، وبعد أن شكرته، شددت عليه بالعلم بأنني لا أريد التَّسبب فى عمل أى إزعاجاتٍ لها على الإطلاق، لا أريد أن يُصاب ابناى بأذىً ماديٍّ، أو معنويٍّ، أو نفسيٍّ جراء الحروب بيننا، حيث إننى لم أكن بحاجة لحكم محكمة يحدد النفقة التى يجب علىَّ إرسالها لهما، وقد قمت بذلك منذ الطَّلاق الذى وقع قبل سنتين تقريبا، كنت أرسل إليهم المبالغ التي تقررها بنفسها، وكان هو نفس المبلغ الذي كنت أعطيها إياه قبل الطَّلاق، كما وأنني ليس لديَّ أى مانع من إعطائها حقوقها الواردة بقرآننا الكريم، وقبل أن أغادر مكتبه أخبرته أننى حين أموت، لا أود أن يسألنى الله عن ذنب اقترفته بهذه القضايا، كما حملته المسئولية بإقامة أيّ قضية ضدها تخالف الشرع، أو حتى التي لا تخالفه، كذلك أخبرته أن يكون مُستعدًا للتَّعامل مع قضاياها المتعلقة بي إلى زمن بعيد فقد أرسلت لى عبر إحدى الصديقات تهديدًا خيَّرتنى فيه بين أمرين : إما أن أعيدها لعصمتي، وإما انها ستدمِّر حياتى وستدمِّرني.

- وهل نجحت فى تدميرك؟

- أظن صديقي أن حالي الذي رأيتني عليه حينما عرضت على المشاركة فى الأشراف على مشروعك كان كافياً للإجابة عن

سؤالك، أما إجابتي عن سؤالك الأول فقد رأيت ابنيَّ مرة واحدة خلال عشر سنوات وقد زارانى حتى يطالباني بزيادة النفقة فقط.

ـ هل تعتقد أن محكمة الأسرة قد أرهقتك بتقديراتها وأحكامها.

ـ المحكمة صديقي مُخولة بتطبيق قانون محدد المعالم والمواد، وتقديرها يُبنى على ورقة من المباحث يُحدد فيه ا قيمة دخل ي الشهرى، أمَّا إن كانت هى قد استطاعت الاستعانة بأحد كبار الضباط للتَّوصية بكتابة الرقم الذى قررته ه ي، وأنه قد تم لها ما أرادت فى بضع دقائق، وفى اليوم التَّالى، تحكم المحكمة بالقيمة التى يتوجب عليّ الالتزام بدفعها شهريا، فهنا يكون من الظلم اتهام المحكمة بظلم ي بقرارها، اما الذى رأيته ظلماً لي فى حينه، فهو إننى قابلت السيد رئيس المباحث شارحا له فداحة الظلم الذى لحق بى جراء قراره وأنا متوقف عن العمل تماما وحين تأكد من صدقي، نصحني بطلب إعادة التَّحريات من قاضي المحكمة، وقد علمت أن السَّيِّد المحامى كان قد طالب بذلك، غير أن طلبه قوبل بالرفض، وليست هنا المشكلة صديقى العزيز.

ـ وأين المشكلة إذاً؟

المشكلة سيِّدى بدأت منذ عشرات السنين حين سمعت أحد الشيوخ وقد كان من أقطاب التيار السلفى يقول: إن الزوجة أسيرة لدى زوجها، وإنه عليه مغازلتها أحيانا . فى ذلك الزَّمان كان يتم التنكيل فيه بالمرأة إن ألقى عليها زوجها يمين الطلاق شفهيا، أو إن لجأت للمحكمة طالبة للطلاق لسببٍ أو لآخر، ورأينا ولمسنا معاناة المرأة بمجتمعنا لمجرد إثبات، أو الحصول على الطلاق، إلى أن عُرضت المأساة عبر فيلمٍ سنيمائى شهير هزَّ

مشاعر الرجال قبل النساء ، ما جعل رئيس الدولة فى حينه يصدر قرارا بإعادة صياغة قانون الأحوال الشخصية، كما تبنت السَّيِّدة الفاضلة زوجته مُتابعة الأمر، وتبنَّت أيضا إصدار قانون للخلع، مستندة فيه هى والسادة العلماء لحديثٍ ورد عن السَّيِّد الرسول الكريم صلَّ الله عليه وسلم، وبالفعل تغير القانون لكنه كما رأيت، نقل المعاناة التي تحملتها المرأة طويلا ببلادنا إلى الرجل تماما، وكأنه كان أخذاً بالثأر، واليوم نسمع فضيلة الخطيب يخبرنا أن الزوجة موظفة لدى زوجها، ولها الحقُّ فى المطالبة براتب نظير خدماتها له ولأولاده وكأنها ليست هي من أنجبتهم، أو كأنها لا تحمل مشاعر الأمومة بعظمتها، نحن صديق ي لم ندرك بعد أن القضية أكثر أهمية من النفقة والإنفاق فى حالات الطلاق، فالقضية الأولى يجب أن تكمن فى الحرص على تنشئة الأبناء بصورة لا تشوه شخصياتهم، ولا تصيبهم بأمراض نفسية، ألم تر صديقى أن الغالبية العظمى من أبناء المطلقين والمطلقات يعزفون عن الزواج خوفا من أن ينالوا المصير الذى ناله أباؤهم وأمهاتهم، بل وهم أيضا نالوه كأبناء، وهنا أذكر حديثا دار بين ي وبين صديقة أمريكية الأصل، شرحت لي فيه كيف اجتازت قضية الطَّلاق بكل يسر وإنسانية، حتى حصلت على الطلاق خلال ستة أشهرٍ فقط، أخبرتنى أن من يتقدم بطلب طلاق بأميريكا عليه أن يتقابل مع وسيط تابع للمحكمة حسب ظنّي، يحاول إقناع الطرفين بالرجوع عن قرارهما، فإن رفضا الوساطة، وأصرا على الانفصال، يكون أكثر ما فى إجراءات الطلاق أهمية للدرجة الت ي لا يصدر بها القرار بالطلاق إلا بعد خوض الزوجين دورة تعليمية قصيرة تنبههم وتعلمهم كيفية التعامل مع الأبناء بعد الطلاق، وأرى أن هذا أمر فى غاية الأهمية والحساسية بصورة أعظم من باقى القرارات والأحكام المتعلقة بنفقة المتعة، ونفقة الأولاد وخلافه.

تهديد ووعيد

كان السائق مُعتادًا عند السَّاعة الرَّابعة عصر كلِّ يومٍ أن يمرَّ أولا بمسكن مهندس أسعد ليناوله طعام دارلنج، ثم يصحبه مُتجها إلى حيث يقيم مهندس أيمن ، ومن ثم يتوجهو ن جميعا لبلوغ صديقهم المستشار ماجد، فيصلُّون المغرب مع جماعة المصلين، ثمَّ يختمون صلاتهم، بعدها يقرأون ما تيسر لهم من القرآن حتى يحين موعد آذان العشاء ، وبعد الصلاة تبدأ سهراتهم وأحاديثهم حتى العاشرة أو ما بعدها بقليل حسبما يتطلب أمر نقاشاتهم، ثم يعود الجميع ، كلٌّ إلى حيث يُقيم، وفى أحد الأيام تلقى المستشار ماجد اتصالا هاتفيا من أسعد، يعتذر فيه عن لقاء ذلك اليوم والأيام المقبلة حتى ينتهى من أمرٍ طارئ ألم به، وبعد إلحاح المستشار على طمأنته عن السَّبب، أخبره أسعد أن ابنه المقيم بأوروبا كان قد اتصل به مُنفعلا حيث كان يمر أخوه آدم الذى سافر منذ عدة أشهر للعمل بإحدى دول الخليج بأزمة مالية أثر دينٍ اقترضه، وإن لم يفى بسداد ذلك الدين خلال أسبوع، رُبَّما تعرض للسِّجن، واخبره أيضا أنه مثقل بالديون وربما تَعرض هو أيضا لاعتقال وا لسِّجن؛ لذا فهو يطالبه بتقسيم ثروته عليهما حتَّى يتمكنا من سداد ديونهما، ويعيشا الحياة التى تليق بثرائه.

كانت لهجة الابن عنيفة مع أبيه، تحمل بين ثناياها تهديداً إن لم يسرع بالتلبية، ومنح أحمد أباه مهلة أقصاها أسبوع لتدبير مديونية آدم التى لم تكن ضخمة للغاية حيث طلب منه توفير أربعين ألف جنيها على الأقل وسوف يأتيه من يحملها إلى آدم عند توفيرها، أما عن تقسيم التَّركة، فقد أمهلة شهرًا من اليوم

حيث إن أحمد كان قد قرر زيارة القاهرة بغرض إنهاء هذا الأمر . بعد أن انتهت المكالمة، أو لعلنا نقول المشاحنة، اتَّصل أسعد بأحد أصدقائه المقربين بالمدينة التى كان يعمل بها طالبا منه إقراضه المبلغ الذى يحتاجه آدم لسداد ديونه، كما طلب منه عرض أملاكه من أراضٍ وكذلك شقته بتلك المدينة للبيع، وبأي ثمنٍ ، كانت البلاد تعانى من حالة ركود عنيفة قد عمت العالم فى تلكَ الفترة وكانت عمليات بيع وشراء العقارات والأراضي متوقفة تماما.

وعده صديقة الحميم بالعمل على تدبير المبلغ وإرساله له خلال أيام، بيد أنه أعرب له عن صعوبة بيع الأرض بثمنٍ يتناسب مع قيمتها الحقيقية نظرا لما تعانيه البلاد والعباد من ركود شبه تام، وانتهى النقاش بوعده بأخبار جميع سماسرة الأراضى عن رغبته ببيع أراضيه وشقته بمحتوياتها.

قسوة الأيام

فى الموعد المحدد أرسل أحمد ابن أسعد أحد أقربائه لاستلام الأربعين الف جنيه، وبعد أن تناولهم وترفَّع عن عدهم ثقة فى المهندس، وعده بإرسالهم كاملين إلى أدهم فى الحال وانصرف بعد أن طلب من المهندس الدعاء لآدم بفك دينه وتفريج كربه.

فى المساء عاود أحمد الاتصال بأبيه أسعد، كان يناديه دائما بالحاج متحاشيا نطق لفظ بابا، وحين عاتبه أسعد على ذلك ، صدمه حين قال له أىَّ أبٍّ تتحدث عنه يا حاج، لقد اتفقنا أنا وآدم منذ سنواتٍ أن نضع موتك فى اعتبارنا، وقد اعتبرناك ميتا منذ بدلنا أرقام هواتفنا حتى لا تتمكن من التَّواصل معنا، وعندما سأله أسعد عن لجوئه إليه فى سداد مديونة أخيه ، ومطالبته بتقسيم تركته عليهم حتى يتمكن من سداد مديونياته هو الآخر واستغلال ما يتبقى من إرثه لإنشاء مشروع يدر عليهم ربحاً، أجابه أنه هو من أنجبهما وعليه تحمل مسئولياته، وفى نهاية الاتصال شكره على أىّ حال على توفير المبلغ الذى كان آدم فى أمسّ الحاجة إليه، ذكَّره بأهمية أن يكون جاهزًا لتقسيم ثروته مناصفةً عليهما فى الموعد الذي حدَّده.

ما إن انتهت المكالمة حتَّى هرع أسعد صوب سريره وارتمى عليه غارقا فى نوبة بكاءٍ حادةٍ، لم تكن دارلنج لتتقاعس عن مشاركته همومه فهرعت خلفه، وثبت لتستقر على صدره تئن مع أنينه وتبكي مع بكائه ، كأنها كانت مُستمعة ومُتفهمة لما دار من

حوارٍ بينه وبين من هو من المفروض أن يكون ابنا له، والذى عاش معه حتى تجاوز الخامسة عشر ذاق فيها طفولة رائعة مرفهة وثيرة. كان أسعد حينما يشكو لإصدقائه لوعة شوقه لابنيه، كان النَّاس ينصحونه بالصَّبر حتَّى يكبرا ويتفهما حقيقة الأمور، غير أنهما كبرا وكبرت معهما كراهيتهما وقسوتهما حيث كانت هناك من تخبرهما دائما أن أباهما ثريٌ يمتلك أرضًا كبيرة غير أنه يبخل ببيعها للإنفاق عليهما مُكتفيا بالنفقة القليلة التى حكمت لهما بها المحكمة، وكأنه يُعاقبنا، وبالتأكيد أن من تقول ذلك افتراءً بغرض خلق شقاق بين الأب وأبنائه لن تكون أمينة بإخبارهما أنه خاض حروبا رهيبة وحده مُقابل عصابات عديدة من أجل استرداد أرضه التى احتلوها لعدة سنوات كان فيها يحاربهم وحده، وما كانت حروبة لاسترداد أرضه سوى رغبته فى أن يترك لولديه بعض المال الذى يعينهم على العيش بأمان بعد أن عزف هو عن كل متع الحياة، حزنا على ما لحق به من بلايا فيها ومنها.

كاد أسعد أن يصاب بأزمة قلبية ، علا صوت بكائه فى حين كانت دارلنج واقفة إلى جواره تبدو متوترة لعجزها عن تقديم يد المساعدة إليه، أو على الأقل عاجزة عن الاتصال بمن ينجده، ولأن الله رحيمٌ بعباده، فعند العاشرة مساءً، سمع رنين جرس بابه، هرعت دارلنج فرحةً صوب الباب كأنها سعيدة بأن الله قد أرسل لهما من يقدم لصاحبها العون والمواساة ، حاولت كثيرا فتح الباب بيديها وفشلت، وحين اكتشفت عجزها عن ذلك عادت لتجذب أسعد من بنطاله كأنها تخبره أن هناك من أتى لإنقاذك، فقم وتعال معي، سأساعدك صاحبي، غادر أسعد سريره بصعوبة بالغة بينما كانت دارلنج تسبقه إلى الباب، وجد أسعد صديقيه ماجد وبصحبته أيمن، وخلفهما كان السائق العجوز.

بعد أن وضعا بعض الأكياس فوق طاولة وسط الصالة اصطحباه إلى سريره بعد أن لاحظا آثار مرضٍ ليس هينا بأية حال رغم محاولتهما ممزاحته بأن حب دارلنج قد أتعب قلبه ، طلبا منه أن يشاركهما عشاءهما وأصرًا على ذلك حين أخبرهما بفقدانه لشهيته وأنه يشعر بآلام عنيفة بقلبه، ومع تهدأة صديقيه له وإخباره بأنه يبدو لهما طبيعيا للغاية، شاركهما العشاء بقدر ما استطاع تناوله منه، قبل أن ينصرفا سأل ماجد صديقه أسعد قائلا:

ـ ترى كم وصل سعر المتر لأرضك بتلك المدينة السياحية؟

ـ ما بين خمسة إلى سبعة آلاف جنيه.

ـ وبأى ثمن تتمنى بيعها إن جاءك مُشترٍي؟

ـ سأكون سعيدًا إن أتى من يشتريها بثلاثة آلاف فقط للمتر.

وانا اشتريتها بأربعة آلاف صديقى العزيز ، سوف أضع الثمن بحسابك بالبنك الذى كنت أضع لك فيه أتعابك نظير إشرافك على المسجد، وغدا سأزورك بصحبة المحامى أحمد حافظ لتوقيع العقود وبعدها نصطحبك لأشهر أطباء القلب بالمدينة فنم مُطمئنا.

اِنفرجت أسارير أسعد حتى بدا وكأنه قد شُف يَ من مرضه تماما وإلى الأبد.

كانت المفاجأة رائعة لأسعد رغم يقينه أن المستشار النبيل لم يكن بحاجة لشراء أرضه ولا شقته وما فعل ذلك إلا ليهون عليه حزنه وألمه، وقد شعر بالفعل كأن حملا ثقيلا قد انزاح من فوق صدره،

ربت أسعد براحة يده على سريره إشارةً لدارلنج أن تصعد إليه، ما أن صعدت حتى حملها بين يديه وألقاها بين أحضانه وظل يقبل رأسها كأنه يشكرها، أو كأنه كان يعتذر عن إحزانها وإيلامها بسوء حالته النفسية، وقد تعجب من صدور بعض الأنين ربما حزناً عليه، أو ربما حاولت محادثته وطمئنته بأن أحواله ستكون إلى الأفضل بمشيئة الله.

ما أروع أن يتحادث اثنان لا يعرف كلٌّ منهما لغة الآخر ومع ذلك ترى أنهما منسجمان مستمتعان بحديثهما الذي ربما كان يجرى بينهما بالتخاطر، أو بقراءة العيون. وما أروع لغة العيون. يا سبحان الله.

دارلنج تطلب الإغاثة

بعد انتهاء الكشف على أسعد ، أخبره الطبيب الشهير أنه يعاني من ارتفاع خطيرٍ فى ضغط الدَّم ، واضطراب واضح فى ضربات القلب، نبهه بضرورة الالتزام بمواعيد الدواء وجرعاته وإلا سيكون مُعرضا لمشاكل قلبية شديدة وخطيرة للغاية.

كان أسعد مُستلقيا على سريره عندما أشار صديقه المستشار لأيمن بالانصراف، غير أن أيمن تعهد بالبقاء مع صديقه حتَّى يُشرف بنفسه على تناوله للأدوية التى كُتبت له، كما أنه لن يغادره ويتركه إلا بعد أن يتأكد من استغراقه فى النَّوم. مرَّت عدة أيامٍ كانت أحوال أسعد الصحية تتدهور من سيئٍ إلى أسوأ، رغم انتظامه بتناول أدويته بجرعاتها المحددة وفى مواعيدها بمعاونة

صديقه الوفـي، وبرعاية وحب كلبته الوفية دارلنج، فى أحدى الليالى عندما تأكد لأيمن استغراق أسعد فى النوم ربت على ظهر دارلنج وانصرف حزينا على تدهور حال صديقه ورفيق عمره.

فى الصباح الباكر نادى أسعد دارلنج التى كانت تقبع أسفل سريرة حزينة، كان صوته واهنا متقطعا كأنَّه يحمل ما بداخله من ألم ومرض ومعاناة، قفزت دارلنج لتجلس إلى جواره، نظرت إليه كأنَّها تسأله عن حاله ، وعما إذا كان قد تحسنت صحته؟ ربت أسعد على صدره كأنَّه يستدعيها للجلوس عليه ففعلت وصارت تلعق يديه وذقنه وخديه، شهق أشرف شهقة عنيفة أطاحت بدارلنج على الأرض، وحين قفزت عائدة إليه وجدته مُمدَّدًا على سريره، لم تكن دارلنج تعلم كيف يموت البشر، لم تكن تعلم ما الذى يجب عليها أن تفعله حتى تعينه أو تنقذه سوى إصدار بعض الآنات، ولما أصر على صمته ، هرعت صوب الباب الخارجى تعوي حينًا، وحينًا تدق عليه بيديها وتخدشه بأظافرها، كأنها تستدعي الجيران لنجدته، توتَّرت دارلنج واضطربت، صارت تنظر يمينا ويسارا، قفزت على الكنبة أسفل شباك الصالة ، شبَّت حتى تطل بوجها منه وراحت تعو ي، تئن، تهوهو بأعلا ما أُتيت من قوة، علَّها نجحت فى إخبار الناس بأن لديها مُصيبة وتتوسل إليهم معاونتها، كانت الساعة السادسة صباحا والنَّاس نيام، رغم أنَّها السَّاعة التى يجب عليهم فيها أن يستيقظوا لمباشرة شئون حياتهم، أضجَّت دارلنج مضاجعهم وأقلقتهم بأصواتها فصاروا يتقلبون منزعجين من صراخ وعواء وأنين تلك الكلبة اللعينة، من الجيران من فطن أن الكلاب لا تفعل ذلك إلا للاستنجاد طالبة معونة. بعد دقائق تجمع النَّاس خلف الباب، لم تكن دارلنج قادرة على فتح الباب، أو محادثتهم أوإعلامهم بما حلَّ بصاحبها وبها، ما ألعن أن تكون عاجزا عن التعامل مع بشرٍ لا يعرفون لغتك، صار الأمر عدة دقائق يسأل النَّاس دارلنج عما أحل بصاحبها

وبها، لم يكن لديها وسيلة تجيبهم بها سوى بعضٍ من الأنين والهوهوه، أخيرا أهتدت جارتهم إلى وجوب الاتصال بشقيقة أسعد التى كانت قد تركت لها رقم هاتفها للتواصل معها عند الطوارئ، تم الاتصال وإخبار شقيقته بنباح الكلبة وضجيجها وصراخها، ولا بد أن هناك فى الأمر أمر جعلها تصرخ وكانها تطلب الإغاثة لوقت طويل.

خلال دقائق كانت شقيقة أسعد فى غرفته، وخارج الغرفة وقف بعض الرِّجال من الجيران انتظارا لما ستعود به إليهم من أنباء، لم يكن الأمر صعبا كى تعلم أن أخاها قد فارق الحياة، صرخت عالياً، التفَّ النَّاس حول سرير أسعد، تعالت الأصوات من كلِّ حدبٍ وصوب، لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، الله يرحمك مهندس أسعد، كم كنت طيِّبا مُسالمًا خلوقا، كم كنت هادئًا كأنك لست موجودًا، متَّ وحيدا بائسا لكن وجهك يبدو منيراً ، منشرحاً، جميلا كمن برأ بعد مرضٍ عاناه طويلا، أو كمن انتظر بشرةً ونالها، أو كمن انتشل من أعماق بحرٍ من الهموم وسجى على الشاطئ يتنفس نفحات الله ورحماته.

عند العاشرة صباحا كان ماجد وأيمن يبكون أمام جثة صاحبهما، سأل أيمن عما إذا كان أسعد قد ترك وصية بمكان دفنه؟ أجابته شقيقته أنه ذات مرة طلب أن يدفن إلى جوار أمِّه، ولمَّا اتصلت بالتُّربى أخبرها أنَّه لم يكن عضوًا أو مُشتركًا بالجمعية حتَّى تتحقق رغبته، ولذا فإنه ليس أمامنا خيار سوى أن ندفنه بمقابر الأسرة بقريتنا. أخبرها المستشار أنه اشترى مقبرة جديدة لأسرته ولم يدفن بها أحدٌ من قبل، وسيكون أسعد أول ساكنيها، إن لم يكن هناك من يعترض على ذلك، أجابته أنَّها لا تعتقد أن هناك مشكلة فى ذلك.

بعد أن انتهى كل شيء، حضر شقيق أسعد، سأل عن مكان الدفن؟ أبدى بعض الامتعاض من اقتراح السيد المستشار، غير أنه استسلم للأمر إذ لم يكن لديه مبرر لرفضه، إلا إن كان سيدفنه بمقبرته الجديدة، وهو لا يحبذ ذلك ، كما أنه أيضا لم يكن لديه الوقت للسفر لمقابر قريتهم لدفن أخيه بها، ثم إن الأمر برمته لم يكن له أهمية بالغة لديه، كان كل ما فعله هو أن اتصل بأم ولديه أحمد وأدهم، أخبرها بالأمر سائلًا أياها عما إذا كانت حريصة على حضور مراسم الجنازة؟ أجابته: أن حرصها الآن هو أن يحتفظ هو شخصيا ودون غيره بمفتاح شقة أسعد، وأن يأخذ من أخته النسخة التى لديها، وألَّا يسمح لأحدٍ بدخولها قبل أن تفتحها هى بنفسها وبوجوده ومعاونته، كما أخبرته بأنها ستنقل الخبر لابنيها فوراً، إذ ولربما كانا حريصين على حضور مراسيم تشيع من يحملان اسمه وسيرثانه بكل تأكيد بمشيئة الله ، رغم إعرابها بشكوكها فى إمكانية حضور هما جنازته، ذلك لما سيحتاجانه من وقت لأنهاء إجراءات سفرهما، ولذا فهى ترى استحالة تمكنهما من حضور مراسم دفن أبيهما.

بعد صلاة الظُّهر بمسجد التوبة، أعلن الإمام عن صلاة الجنازة التى حضرها العديدون ممَّن يعرفون أسعد ، وممَّن لا يعرفونه وبعد الصلاة انتقل العديدون منهم لحضور مراسم الدفن.

الموت حزنا

بعد الانتهاء من كافة المراسم انصرف النَّاس جميعا وبقى المستشار ومعاونه، ومهندس أيمن والسَّائق وبين أرجلهم وقفت الكلبة الحزينة دارلنج تنتحب كأنها ترجوهم ألا ينصرفوا ويتخلوا عن صديقهم الذى تركوه وحيدًا بباطن الأرض، كانت تئن وكأنها تسألهم: ألن يخرج من قبره مرة أخرى؟ أيعنى هذا أنه فارقني إلى غير رجعة وللأبد.

كانت دارلنج غير مستوعبة لما حدث، حاول السائق حملها بين زراعيه فأبت وتشبثت بالأرض، هرعت صوب باب المقبرة، وثبت تدق عليه بيديها، حاولت التَسلل إلى داخل المقبرة خلال قضبان بابها الحديدى، فشلت جميع محاولاتها، كما فشلت محاولات الجميع لحملها على الانصراف معهم، كان هناك العديد من الاقتراحات بخصوص إجبار دارلنج على الانصراف حتَّى أنهاها المستشار بطلبه من المشرف على منطقة المقابر أن يعتنى بدارلنج، وبغذائها وشرابها، وبعد أن ناوله بعض المال أخبره أنه سيتواصل معه للاطمئنان عليها وسوف يعود الخميس القدام لزيارة أسعد لقراءة القرآن على روحه والدعاء له، ومن ثم الاطمئنان على دارلنج علَّها قبلت فى حينه العودة معه إلى مسكنه.

فى اليوم التالى اتصل التُّربى بالمستشار، أخبره أن دارلنج عازفة عن الطعام والشَّراب، تنتحب دائما، لا تكف عن محاولات العبور إلى المقبرة من خلال قضبان البوابة الحديدة، وكثيرا ما تدق صاج الباب السُّفلى بيديها وكأنها منتظرة أن يُجيبها المهندس، وبعد يومين أخبره أن دارلنج أصبحت ضعيفة للغاية، وما زالت مُضربة عن الطعام، وأنها قد وهنت للدرجة التى أصبحت فيها عاجزة عن الوثب على الباب لتدقُّه علَّها تجد أسعد مستجيبًا لدقاتها. بعد يومين أخبره أن دارلنج قد ماتت وسأله ماذا عساه أن يفعل بجثتها؟

أخبره المستشار أن يحفر لها حفرة على يمين باب المدفن ويسجيها بعد إراحتها فى رقدتها بها، ثم يزرع فوقها شجيرة تنتج زهورا.

الميراث

أتى يوم الأربعاء، وحين كانت جماعة مسجد التَّوبة مُجتمعة بعد صلاة العشاء اقترب من مجلسهم شابٌ وسيم، بدت على ملامحه مظاهر الرَّفاهية والوسامة، مرتديا ثيابا فاخرة، جلس إلى جوارهم بعد أن ألقى السلام وبدأ حديثه:

ـ أنا أحمد أسعد ابن مهندس أسعد حنفى.

أجابه الجميع بردِّ السَّلام الذ ي أتبعوه بعبارات المواساة والعزاء ، والدعاء له ولأخيه بالصبر على فقدانهما لأبيهما، وبعد أن تقدم لهم بجزيل الشُّكر، سأل عن المستشار ماجد الذى رفع إليه كفه مُعيدا التِّرحاب به، طلب منه الشَّاب التحدث إليه مُنفردًا ؛ انتقلا إلى الجانب الأخر من المنبر حيث اتخذا مجلسهما، أعاد السَّيد المستشار التَّرحيب بابن صديقه، مُعربا عن سعادته بلقائه، ذاكرا له حسنات والده وحُسن خلقه وفضائله ... بدا أحمد غير مُهتمٍ بما يسمع وبدأ يخاطب محدثه قائلا:

ـ بعيدا عمو عن الفضائل والعواطف، ومحاسن الأخلاق، فقد جئتك اليوم للتحدث عن بعض الأمور المتعلقة بموت الحاج أسعد.

ـ تفضل بن يّ، وبالمناسبة أذكرك أن أباك لم يتمكن من أداء فريضة الحج حيث منعته الظروف التى مر ت عليه ولسنوات

طويلة صحبها دائما أزمات مالية عاتية ، بالإضافة إلى تدهور حالته الصحية والنفسية.

ـ ليس لهذا أهمية الآن عمو على أية حال، وأرى أن الأكثر أهمية الآن هو أن أمِّى عندما ذهبت بصحبة عمِّى لتفحص شقة أبى، فشلت فى العثور على مستندات أملاكه من أراضٍ وأملاك، ولم تفز إلا بعقد شراء شقته بالمدينة التى كان يمارس بها عمله، وكان يقيم بها إقامة دائمة، كما أنها قد وجدت ورقة سجل فيها أسماء البنوك التى كان يتعامل معها، وعلى رأسها البنك الوطنى، ونظرا لعلاقات أمِّى الواسعة مع بعض الشخصيات المرموقة والهامة بالدولة، فقد استطاعات بسهولة ويُسر التَّواصل مع تلك البنوك، وقد صدمت حين تأكدت أن كافة أرصدته خالية من الأموال سوى البنك الوطنى الذي وجدت له به رصيدًا لا يزيد عن مائتى ألف جنيه فقط، ولأننا على يقين بأن ثرواته تفوق الملايين فقد أشارت إلىَّ بضرورة زيار ة حضرتكم لاستطلاع الأمر والوقوف على حقيقة ثروات أبى، وإلى أين ذهبت؟

ـ أولا بُنىَّ، على قدر ما كان يؤلمن ي عندما تُسم ي أباك بالحاج، على قدر ما أسعدنِي استعمالك لقب أبى حينما حان الوقت للحديث عن ثرواته، ومع هذا فقد صدقت، كانت ثروة أبيك كبيرة بعدما عرض أرضه وممتلكاته للبيع بثمنٍ بخسٍ بعد محادثتك معه مباشرة،ربما بسبب تهديداتك التىِ لم يكن يعبأ بها على الإطلاق، بل وكان فى استطاعته أن يسحقك إن أراد، وأنت خير من يعرف قدرة أبيك على مواجهة خصومه فى حروبه، بيد أن قلبه كاد أن يتمزق حين أخبرته أنك وأخيك قد اعتبرتماه فى عداد الموتى، بكى كثيرا، حزن وتألم ألمًا بالغًا، كأنك قد طعنته بقلبه بخنجرٍ حادٍ كنت قد غمست نصله فى السُّمِّ قبل أن تطعنه به، بيد أن كلماتك

عن اعتباره ميتا قد أشعرته بمعاناة العديدين من اليتامى الذين لا يجدون من ينفق عليهم أو يعتنِي بهم، أو على الأقل من يشاركهم معاناتهم، وعندما باع أرضه وممتلكاته منذ أيامٍ ، قفزت إليه فكرة ربما كفَّرت عنه ذنوبه بمنحكم الإحساس باليتم، فتبرَّع ببعض ماله لدور الأيتام، وبعضها الآخر لدور رعاية المسنين، والجزء المتبقى منها تبرع به لبعض الجمعيات الخيرية التى تمد يد المعونة للفقراء والمساكين ، والأرامل والعجزة، و العجائز والمصابين، أما عن المبلغ الذى تحدثت عنه فقد تركه لاستعماله عند الحاجة فى حالة لم يكن معاشه كافيا لمتطلبات حياته، وإن مات يكون المتبقى منه إرثا لك ولأخيك، مُعتقدا أن هذا يكفيكم منه، حيث تعمل أنت بأوروبا وأخيك بالخليج.

ـ وهل تعتقد حضرتك أنه قد أحسن صنعا بما فعل؟

ـ ليس من شأنِي بُنىَّ أن أحكم على أفعال الآخرين، لكن ويجدر بِي هنا أن أخبرك أن محادثاتك الأخيرة كانت عنيفة الأثر على أبيك للدرجة التى لمسنا فيها مدى قهره وحزنه وانهزامه وانكساره، فى الوقت الذى كان ما يزال مُحتفظا لكما بحبٍ لم أره بقلب أبٍ أخر مثلما رأيته بقلب أبيكما لكما، رحمه الله ... وأظن بُنىَّ أن قسوتك فى تهديده قد عجَّلت بموته.

ـ لكن ما فعله عمو لا يعبر عن أى حبٍ ولا حنانٍ، بل إنه يبدو لِي مُخالفًا للشَّريعة.

ـ لا أظنه خالف الشَّريعة بُنىَّ، ثمَّ دعنى أسألك: هل عاملته أنت بما أوصت به شريعتنا حتَّى تُدينه بعدم التزامه بها ظنًّا منكَ أنَّه قد خالفها؟ لا أدرى بُنىَّ لماذا نستعمل الشريعة فى الشِّقِّ الذ ي ينفعنا

فقط، كأنَّك تذكِّرني بالرِّجال الذين يتغنون بأن الله شرَّع لنا زواج الأربعة، وربما كانوا يتناقشون فى هذا وهم يحتسون كئوس الخمر ببيوتهم، أو بأماكن توافرها وبيعها، أو فى الملاه ي الليلة حين يرغب أحدهم أن يتزوج الراقصة. ألم تتذكر بُنيَّ وأنت تهدده قول الله تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. وقوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا. هناك بنى العديد من الآيات وأحاديث رسولنا الكريم بحق والدينا، أولم يكن ذلك من الشرع الذي تحدثني عنه؟ أظنك بُنيَّ يومًا ما ستدرك فداحة ما فعلته مع والدك عندما تتزوج وتنجب ابنا ربما فعل بك ما فعلته بأبيك، ولو أننى متأكدٌ أنه لا يتمنى أن تشعر بما أشعرته به أبدا.

ـ أنا لن أتزوج عمو أبدا، فاطمئن وليطمئن هو الآخر بقبره.

ـ وهل تظنُّ أن عزوفك عن الزواج سينجيك من حساب الله بصورة أو بلأخرى؟.

ـ ما الذى تنصحني به حضرتك أن أفعله الآن؟.

ـ لست بُنيَّ فى موضع يُمكننى فيه من إسداء النَّصائح لك، ومع هذا فسوف يسعدنى أنَّ أخبرك: أننى قد قررت إقامة بناء هذا المسجد ليكون فرصة لمن أراد التَّوبة والعودة إلى الله باكيًا نادمًا مُستغفرًا، داعيًا لله أن يعفو عنه وأن يهديه، وأن يمنحه فرصة أخرى كي يكون مُؤمنا طيِّبًا، وقد أقمته لأكون أول التَّائبين عن ذنوبٍ جسيمةٍ أضرت ببعض النَّاس الذين لا أعرفهم، منهم من

عجزت عن تعويض الضَّرر الذى ألحقته بهم، فلجأت إلى الله أن يلهمهم مُسامحتي والعفو عني، فلتكن بُنيَّ ممن أردوا التَّوبة وعد معنا إلى الله علَّك نلت فى هذا خيرًا أعظم مما كنت ستناله من ثروة أبيك، وأذكرك وأذكر نفسى بقول الله عزَّ وجل: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. ولتكن البداية غدًا حيث أنوى زيارة قبر أبيك، ولسوف يُسعدن ي أن تصحبني بهذه الزِّيارة التى أنا على يقين بأنها ستسعده برقدته.

ـ لا أظنُّ عمو أن زيارتى لقبره سوف تكون ذات جدوى ل ي أو له. يا إله ي، لماذا لم تُمهله حتَّى أُدركه لأُجبره على تقسيم كامل ثروته وتركته لي ولأدهم أخي، لقد أدركه الموت قبل أن أدركه فأضاع عليَّ وعلى أخي فرصة الفوز بإرث عظيم.

ـ لا تعاتب الله بُنيَّ على أمرٍ رُبَّما كنت أنت من تسبب به بعنفك وجحودك، ونكرانك وقسوتك، بل وتهديداتك لمن تناديه حاج، وقد كان الأولى بك أن تفى له وتبادله حُبًّا بحبٍّ وعطفاً بعطفٍ وحنو بحنو، أظنه بنيَّ كان كريما أن ترك لكم ذلك المبلغ الذي لم ترض به، بالإضافة للشقة التى تركها لكما والتي ستريان بها صوركما بكلِّ مكان.

ـ لا أعتقد عمو أن هناك فائدة من العتاب أو من زيارة القبور. وسيسعدني أن تخبره بحزني، ليس عليه، إنما منه، عساه أن يسمع.

الدرس والعبرة

جاء يوم الخميس وجاء معه المستشار ومعاونوه. وبعضٌ من رواد مسجد التَّوبة لزيارة قبر مهندس أسعد، كان هناك من يقرأ القرآن، ومن يقرأ الفاتحة على روحه الطَّاهرة، ومن يدعو له بالرَّحمة والمغفرة وأن يسكنه الله فسيح جناته، وكان هناك أيضا بعض العمال الذين كانوا مشغولين بتثبيت لافتة على يمين الجدار الخارجى أعلى المكان الذى دفنت به دارلنج بجوار باب المقبرة.

بعد انتهاء الزِّيارة وبينما يتأهب الجميع لمغادرة المقبرة التقط المستشار هاتفه حين كان مهندس أيمن واقفا إلى جواره وسمعه من خلال رافع الصوت يقول لمحدثه:

ـ السَّلام عليكم أخي وصديقي، وحبيبي الكاتب، والشَّاعر يوسف، كم دفعني شوقي وحُبّي إليك للاتصال بك والاطمئنان عليك كثيرا، ثمَّ تنسينى مشاغل الحياة ودواماتها الاتصال، أما الآن فهى لم تستطع إثنائي حيث إن لى بك حاجة هامة ومُلحَّة.

ـ حسنًا صديق ي سيادة المستشار الجليل، أهلا بك، فكلنا هذا الرَّجل صديقي، لا تبتأس ولا تعتذر، النَّاس أصبحت بزماننا لا تتصل بالنَّاس إلا حين الحاجة إليهم، ءامُرنى صديقي.

ـ الأمر لله صديقى الحبيب الذى أشتاق إليه ويعلم الله، أردت فقط أن تنضم لجماعتنا بمسجد التَّوبة حيث نجتمع دائما فى حُبِّ الله

ورحابه، آملين أن نُرضيه ونستغفره عن ذنوبنا ومعاصينا، ثم تطورت مساعينا برغبت ي فى أن ننفع النَّاس بدروسنا التى تعلمناها بحياتنا، وننفع بها أبناءنا وبناتنا بما يجب عليهم الانتباه إليه فى فهم الدنيا والحياة من خلال تجاربنا وخبراتنا الحيا تية، أظنُّ أن شبابنا الآن بأمس الحاجة إلى من يرشده عن أفضل وأصلح الطرق والمناهج التى تعينهم فى بناء حياتهم بناءً راسخًا لا يهتز بما يعصف بهم من أفكار غربية وشرقية حتَّى صاروا مُشتتين بين أديانٍ ومعتقدات تدعوا للسَّعادة فى الدُّنيا وألآخرة، وآخرين يستعملونَ نفس الآديان بمفاهيمٍ خاطئة ينشرون بها الفساد والإفساد فى البر والبحر بل وربمَا فى الجو أيضا.

ـ أكاد أشك سيِّد ي المستشار فى أنك ترنو إلى تكوين جماعة جهادية جديدة.

ـ أبدا أبدا صديق ي، فالجهاد الذى أرانا فى حاجة إليه هو جهاد الفكر والعقل وليس لتغيب العقل بالتكفير والقتل، كل ما أريده هو إفادة أبنائنا وبناتنا بتجاربنا وبدروسنا التى تعلمناها من أخطائنا علهم نجوا مما وقعنا نحن فيه، ولدينا فى هذا قصة نريد منك فقط صياغتها بقالبٍ أدبيّ شيقٍ يدفع الناس لقراءتها والاستفادة منها.

ـ لمن تُريدني أن أكتب سيِّدي؟ إلى أُمَّةٍ كان أول ما أنزله الله على نبيهم كلمة أقرأ ؟ وأصبحت هى الأُمَّة الوحيدة التى لا تقرأ بين الأمم، أم إلى من يقرأون ويمنعون طباعة الأعمال التى تتنافى مع أهدافهم ومآربهم ؟ أم إلى من يطبعون الأعمال الأدبية والثقافية على نفقة كاتبيها، ثم ينشر ونها على النَّاس لحسابهم ؟ ولديهم السُّبل التى يجحفون بها حقوق الكاتب فلا يتحصل على ما دفعه لنشر علمه وخبرته وشعره وأدبه، ليس لد ي أدنى شكٍّ فى صدق

مسعاكم صديقي المستشار لكنَّك لم تضع فى الحسبان هؤلاء الناس الذين يعشقون تجهيل النَّاس، حتَّى يتيسَّر لهم السَّيطرة عليهم وقيادتهم وتوجيههم إلى حيث يرغبون.

ـ أتفهَّم كلامك صديق ي تمامًا، ولهذا فسوف أتحمل أنا كافة المصاريف اللازمة لتنوير النَّاس ، والشَّباب منهم خاصة، فتوكَّل على الله وشرِّفنا بزيارتك، حتَّى نتدارس الأمر.

ـ حسنا صديقي، ولكن لدى أمل عن معرفة محتوى القصص التى تريدنى سيادتك الكتابة عنها؟

ـ هى سيِّد ي كما أخبرتك، تتعلق بتجاربنا وبدروسنا المستفادة بحياتنا، وإقناع النَّاس ببراهين عقلية ، أنه ليس أمامنا من سبيلٍ سوى الارتقاء بسلوكنا وأخلاقياتنا التى انحدرت بصورة مخيفة، بل ومرعبة، إذ أصبحنا نرتكب حماقات وبذاءات تعف الحيوانات أن تقترفها، فى حين أننا أصبحنا نتباهى باحترافها وممارستها، ألم تسمع سيادتكم تغير منطوق الأمثال الشَّعبية وما ترنو إليه ؟ وقد رأى النَّاس فيها الصِّدق والمنطقية والواقعية أيضا، ألم تسمع المثل الشائع الآن والذ ي يردده شبابنا متباهيًا حين يقول : عيش ندل تعيش مستور، أو ، إن قابلك الأعمى كُل عشاه، مانتش أحن عليه من اللى عماه، أو من يقول : طنش تنتعش، والجبن سيد الأخلاق، والعديد العديد مما يتنافى عن أخلاقٍ تربينا عليها قديما، حتى عجزنا أن نكون أوفياء أو أمناء كالكلاَّب، بل والعجيب فى الأمر أننا حين نريد أن نسبَّ رجل ننعته بالكلب، أو بابن الكلب.

ـ أكاد ألمس وأتلمس نبل مسعاك صديقي، وحاضر سأفعل ما تريد إذ هو يتفق تماما مع ما أكتب عنه، وما أتمنى فيه من خيرٍ للبلاد والعباد.

ـ حسنا صديقي، اتفقنا، ولى طلب أخير إن تفضلت.

ـ تفضل صديقي.

ـ أريدك فقط أن تنهى قصتك عنَّا بقصيدة اعتذار للكلاب.

قبل الانصراف كان العمال قد انتهوا من تثبيت لوحة رخامية على يمين الجدار الخارجى للمقبرة كتب عليها:

" هنا دُفن المهندس أسعد حنفى الذى مات ضحية لجحود صاحبته، وأسفل هذه اللوحة ، دفنت حبيبته الكلبة دارلنج التى ماتت ضحية لوفائها لصاحبها، ولحزنها عليه ".

اعتذار للكلاب

قلْ للكلابِ بأرضِنا لا تحزنوا

فلقد غدونا بالسِّباب كِلابا

لا عيب فيكمْ بل بمن سبَّ

ابن آدمَ بابنِ كلبِ فعابا

عفوا فإنّى لا أرى فى وصفكمْ

فى النَّاس أو أبناءهم أسبابا

فلكم بصقنا فى الكلاب إهانةً

ولكم أذقناهم أسىً وعذابا

ولكم أرانى نادمًا فى قتلهم

فكتبت فيهم للوفاءِ كتابا

لو أن لى أمر الكلابِ دفنتهم

وزرعت فوق قبورهم لبلابا

فلكم رأينا فى سلوكِ كلابنا

حُبًّا وعطفًا يخطفُ الألبابا

ولقد غدونا نابحينَ كمثلِهِمْ

بل إنَّنا صرنا نُسيلُ لُعابا

يا ليتنا منهم تعلَّمنا الوفا

أو للأمانة إنْ حرسنا البابا

ما عاد للأخلاقِ فينا راعياً

أو عاد فينا من أنابَ وتابا

يا أيَّها الإنسان إنَّكَ عائدٌ

لله حتمًا كى تنالَ حِسابا

وهناك فانظر للصحائفْ كى ترى

ستنال نارًا أم تنال ثوابا

أو أن تنال لفعلِكَ استحساناً

أم أن تنال بما اقترفت عقابا

****

تمــت

سيرتى الذاتية

الاسم الرسمى : سعيد محمود يوسف

الاسم الأدبى : يوسف أبو شادى

المهنة : مهندس مدنى

النشاط الأدبى : كاتب وشاعر

الإصدارات السابقة :

1 - كتاب بعنوان "حوارى مع روح الخيام حول رباعياته" صادر عن الهيئة العامة.

2 - رواية بعنوان "الكوميديا الصهيوأمريكية".

3 - ديوان شعر فصحى بعنوان "أسياد حارتنا"

أعمال تحت التجهيز للطباعة:

1- ديوان شعر فصحى بعنوان "أعتذر".

2 - ديوان شعر فصحى "مات النبى"

كما يلقى أشعارى الرائع الأستاذ حمزة الأغا

الفيس بوك، وقناتى على اليوتيوب باسم: يوسف أبو شادي.

إيميل: s.m_yousef@hotmail.com

الفهرس

قصة باى باى ماريكا BYE BYE MARICA

القصر الأبيض---------- 1
العشاء والدعاء---------- 16
الجائحة ---------- 27
موعد الحرب ---------- 35
باى باى ماريكا---------- 41

قصة مسجد التوبة

مسجد التَّوبة ---------- 64
البراءة---------- 66
المساومة ---------- 68
شهادة الزور ---------- 71
الهزيمة---------- 73
التفاوض ---------- 75
سبحان مغير الأحوال---------- 81
عودة الأمل---------- 83
الحبُّ فى العمل ---------- 88
الشرف---------- 92
محراب التعبد---------- 97
الحبُّ والوفاء---------- 100
الأصدقاء الثلاثة ---------- 103
تهديد ووعيد ---------- 110
قسوة الأيام---------- 112
دارلنج تطلب الإغاثة---------- 116
الموت حزنا ---------- 120
الميراث ---------- 122
الدرس والعبرة ---------- 127
اعتذار للكلاب ---------- 131

مع تحيات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر الحسيني

المشرف العام

محمد عبد القادر الحسيني

المدير العام

عصام عبد القادر

نائب المدير

حسام الدين عبد القادر الحسيني

الهيئة الاستشارية للدار

الدكتور حسام عقل الدكتور على جاد الحق

الدكتورلطفي سيد صالح الدكتور بسيم عبد العظيم

الشاعر عادل عبدالموجود